عمران بن محمد العمران

ابن مقرب

حياته - شعره

١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

مطابع الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الى كل معنى بأمر الكشف عـــن جوانب الحيـــاة العربية عبر السنين ٠ ٠ !

٠٠ الى كل باحث في تراث هذه الأمة الخالدة ومنقب عن مضـــان تأريخها ومعالم فكرها ٠٠!

أقدم هذا النتاج المتواضع ٠٠ عن شاعر من شعراء بلادنا ظـل مغموراً ومجهولا من الأكثرية الكاثرة من أدباء العربيـة وباحثي العـرب ٠٠ !

أقدمه مساهمة مني في تأدية بعض الواجب ازاء الفكر والأدب والتـــاريخ ٠٠ !

وما علي ــ من بعد ــ ان قصر بي العجز دون الكمـــال ودون المنشود؛ فهذا الذي بين أيديكم ــ الآن ــ ما هو الا جهد المقل ٠ !

وحسبي هذا عذراً ٠٠ !!

مقدمة

لماذا ندرس ابن مقرب ؟:

في ماضينا ـ وهو في عمومه ماض مشرق حي ـ صفحات ناصعة طرية من الأدب والتاريخ والشخوص ، لا تزال مطمورة ومجهولة من سواد المتعلمين ، بله الاميين ·!

بل لا أجدني مبالغاً اذا قلت انها مجهولة حتي من أكثرية خاصة الباحثين والمعنيين بشؤون الدرس والتنقيب في زوايا تراثنا الثقافي ·

ومثل هذا ـ ولا شك ـ امر يبعث على الاسى والاسف ، وهو ان دل على شيء فانما يدل على عيب مخز وقصور فاضح ، نحس من جرائهما بعتب النفس ووخز الضمير ·

فما احرانا ـ نحن ابناء هذه الجزيرة الخالدة ـ ونحن في مستهل عهد علمي شامل يعنى بنواحي الثقافة ويولي تراثنا المجيد حظاً وافراً من الاهتمام ، ما أحرانا بأن نقلب تلك الصفحات من جديد وان نتمعنها وان نستشعر الثقة في انفسنا بدراستنا دراسة جادة لتاريخنا الأدبي واعلام هذا التاريخ على نحو من الاستفاضة وعلى نحو من الاستنتاج والتحليل والاعتبار ·

أقول هذا الكلام ، وقد راعني ـ ضمن ما راعني ـ أن يلقى شاعر قديم مبرز ، من شعراء بلادنا ، كابن مقرب الذي نترجم له في هذا الكتاب ، من الجحود والنكران والنسيان ، ما لا يتصوره ذهن ·

ان أحداً من رجالات الأدب والبحث في بلادنا لم يشأ أن يكلف نفسه البحث في حياة هذا الشاعر وفي شعره ومكانة هذا الشعر من الشعر العربي ،لم يشأ ان يفعل ذلك ولو على سبيل انه ضريبة الوطن والأدب على قلم الكاتب ·

ومثل ابن مقرب ـ دون نظر الى انه شاعر من بلادنا ـ لا يستهان به ، فهو ، اولا، شاعر ذو مستوى حسن في الشعر ، وهو

ـ ثانياً ـ قد نشأ وعاش في عهد انقطعت فيه صلتنا بالنضج الأدبي والشعري ـ وقد كنا ارنابه ـ وهو ، ثالثاً ، يمثل في حياته وفي شعره جزءا كبيرا من تاريخ شرقي الجزيرة العربية كما سترى في هذا الكتاب .

كيف نهمل شاعراً يرفعه انتاجه الجيد الرائع الى مصاف كثير من أعيان الشعر العربي وفحوله ؟ .. بل كيف نهمل شاعراً منا والينا ، عاش في ربوع بلادنا ، افترش ثراها والتحف سماءها وخبر أيامها واحداثها ، فتغنى بامجادها وسجل بشعره الكثير من وقائعها التي لولاه لما عرفنا الطريق الى حقيقتها ؟ .. ان ابن مقرب موسوعة تاريخية جاءت ميسرة ومبسوطة تحكي شؤونا وحوادث وحيوات لم يشر لها مؤرخ ما بقليل او كثير ، من قبل او دبير .

وكيف نهمل ابن مقرب ، فلا نوفيه حقه من الدراسة ، وهو قد جاء تعويضاً لأربعة قرون أو أكثر ، فقدت خلالها هذه الجزيرة الشاعر المجيد ، والأديب النابه ، والمفكر العميق ، والمنافح المدره .

لقد كان ابن مقرب بعثا للشعر ، ويقظة للأدب ، وحيوية للغة .

كان بعثاً بعد همود ، ويقظة بعد سبات ، وحيوية بعد اقعاد وكساح .

فالجزيرة العربية ، في القرن السابع ـ وهو عصر الشاعر ـ كانت في منتهى العقم الفكري ، تعيش في تخلف واضح ، وتعاني من خمود الذهن والروح ، وتتخبط في دياجير فاحمة من الجهل ، وتحيط بها عزلة عن العالم بل عن الحياة .

قلت : كانت الجزيرة تعيش عهدا متخلفا في الأدب والشعر ، فجاء ابن مقرب ليجدد لها العهد بدولة الأدب وصولجان الشعر ، ولينفي التهمة التي كادت تلصق بهذه الصحارى من انها قد اقفرت وباتت غير صالحة لان تنتج فحول الشعراء والادباء والعلماء .

وحقا .. لقد اعاد ابن مقرب للشعر هيبته ، واستورد للادب مكانته ، وذكر ربوع الساحل العربي الشرقي بطرفة بن العبد والمتلمس والمرقش وسواهم ، فكان امة في عالم الشعر في زمنه ، في الحساء بل في جزيرة العرب قاطبة . !

ولقد آعاد الى البحرين خاصة ، والى الجزيرة العربيـة عامة ، الثقة التامة في نفسها ، وفي بنيها ، فسما في بيانه ـ بحق وحقيق ـ الى مراتب العمالقة وزاحم ببينات افكاره الفحول ، ونفح في اجواء بلاده وامته وزمنه نفحات عطرة من الأدب الحي القوي ٠

ومرة ثالثـــة ٠٠

كيف نهمل ابن مقرب ، وله من الانتاج المثمر ما يشـهد بـــه الداني والقاصي ، وما ينطق به الواقع والحقيقة ؟ ٠٠ ان لابـن مقرب ـ ولا غرو ـ بعض قصائد ومقطعات لا تقل في اهميتها وفي قيمتها الفنية والموضوعية عن بعض قصائـــد أبى الطيب المتنبىء وابي تمام وابي فراس الحمداني واضرابهم ٠!

انه يستحق منا المزيد من الدرس والبحث والمزيد من النقـــد والتحليل ، فعسى ان نوفيه ـ نحن ابناء هذا الجيل ـ حقه من هذا الواجب ، وعسى ان يكون في هذه المحاولة التى بين يـدي القارىء شيء من الوفاء لشاعرنا العظيم٠

ولئن قمت ـ انا ـ بشيء من الدراسة البسيطة العاجلة لهـــذا الشاعر الفذ ، فمـاذاك الا لأن الواجب الأدبي ـ كما قلت ـ هـو الحافز أولا ٠٠ ولكم تمنيت من قلبي لو توفر لهذا القلم المزيد من الأسباب والامكانيات مما يجعله يبحثفيحياة هذا الشاعر وشعرهوفي صراعه مع الواقع وحياة المنع والحرمان ، على شكل اوسع واشمل وامكن وادخل في باب الافادة والاحاطة ٠٠ ولكن ما لا يدرك كلـه لا يترك كله ٠٠

لقد قمت ـ رغم قلة المراجع وندرة الكاتبين عن ابـن مقرب ـ بهذا الدراسة ، وانا على يقين تام من أمري باننني لن اوفي الموضوع حقه ولن اشفي غلة الصادي بما يطفىء لهبه ٠!

ذلك لان جوانب الكتابة عن ابن مقرب طويلة وعريضة ، ومثل هذه الدراسة لن تفيها حقها على أي حال ، ولان المراجع ومصـادر البحث عن ابن مقرب هي من أشق الأمورعلى نفس الكاتب واكثرها نـــدرة ٠

وكنت أقول ـ في قرارة نفسي ـ لا بـد من الكتابـة عن هذا الشاعر ، ولو لغرض واحد وهو ان أقول لجمهـــور القراء وشداة الأدب ان هناك شاعراً اسمه « ابن مقرب » انتجته بلادنا وانه أحد

مفاخرها الخالدة ٠ ٠فلا تنسوه ٠!

وهذه الدراسة ، التي أعترف سلفاً بأنها مبتورة الجوانب وغير مستوفية لحياة شاعرنا ولشعره ، قد اعتمدت في كتابتها ــ اكثر مـا اعتمدت ــ على ديوان الشاعر نفسه ٠

والديوان ــ أي ديوان ــ يصلح عادة لدراسة شعر الشاعر ــ أي شاعر ــ ونفسيته ، لا دراسة تاريخ حياته نفسهـــا ٠٠ ولكنني ضغطت على نفسي كثيرا وانا اقلب صفحات الديوان ــ ديوان ابن مقرب ــ فالتقطت قسراً شتيتاً من الصور التي أحسب أنها صور من حياة الشاعر ٠

ولا أنسى ، في هذا المقام ، أن أ شير الى أن (ابن مقرب) قـد ورد ذكره لماماً في بعض كتب التراجم ، في شكل تعريفات مقتضبـة بعضها لا يتجاوز السطرين او الثلاثـــة ، ومع هـذا فان هـــذه التعريفات قد القت بصيصاً من الضوء على اسـم الشاعر ونسبه وولادته ووفاته ٠

ولقد كتبت معظم فصول هذا الكتاب قبل ست سنوات ، وعندما خطرت لى فكرة اخراجه ونشره أجريت عليها قليلا من التعديـلات التي استنتجتها بعد معاودتي لقراءة الديوان ودراسته مؤخرا ٠

وقد بحثت ، بهذا الكتاب ، في حياة الشاعر وشخصيته وثقافته ونسبه وعشيرته وعلاقاته بها ، كمـــا بحثت في وطنه ورحلاتـه وصلاته بالعلماء والادباء والحكام ، ودرست ديوانه واشعاره واهم السمات والظواهر والاغراض التي تكتنف شعره وقيمة هـــذا الشعر الأدبية والتاريخية وما انتابه من عيوب او اخطاء ، وعللت لخمول ذكر ابن مقرب وعدم عناية كتب الأدب به ٠

وبعد ٠٠٠

فلعلي ــ بهذه الدراسة ــ أول من تنـــاول حياة هذا الشـاعر وشعره بالبحث والدرس ، اذ لم يسبقني ــ علي ما اظن ــ احد الى ذلك ٠ والقدامى الذين تعرضوا لذكر الشاعر والذيـن اشرت الى كتبهم آنفا ، لم يكن كلامهم ــ على ما فيه من اقتضاب وعدم توفية للموضوع ــ سوى استطراد لبحث أوالحاق بموضوع ٠٠والمستشرقون الذين بحثوا ــ عرضا ــ عن ابن مقرب ، لم يبحثوا الموضوع مـــن

أبوابه، وانما جاء قولهم وقفاً على جوانب من حياة الشاعر أو تحقيقاً لقضية تاريخية وجدوا في شعر ابن مقرب ما يدني لهم قطافها ..
أما أنهم قد عنوا به لذاته فهذا ما لا أظنه حتى الآن .

وحمادى القول ، فان هذه الدراسة اجتهاد مني ـ ولكل مجتهد نصيب كما تقول الحكمة المأثورة ـ فان وفقت الى شيء من التعريف بالشاعر وشعره وبمجتمعه وقومه وصلته بهما ، فهذا جل ما أتوق اليه وما تصبو النفس له . وان تكن هذه المحاولة قاصرة عن هذا الغرض ومهزوزة الصورة ـ وما اقربها من ذلك ! ـ فلا ينس القارىء انها مجرد « محاولة » يجوز عليها الفشل والنجاح وحسبي هذا . !

عمران بن محمد العمران

الرياض ـ في ٢٩ ـ ١١ ـ ١٣٨٤ هـ
٣١ ـ ٣ ـ ١٩٦٥ م

من هو ابن مُقرّب .. ؟

اسمه ولقبه وكنيته :

اختلف الرواة وأصحاب التراجم في ترتيب أسمـــاء آباء الشاعر حتى الجد الاعلى للعشيرة بل اختلفـوا في الاسـماء نفسها ، فتارة يزيدون في عددها وأخرى ينقصون ، وحينا ثالثـا يحرفون النطق .. كما اختلفوا ايضا في لقبه وكنيته .

على أنه من السهل ، فيما يبدو ، تمحيص هذا الاختلاف ومما يزة تلك الاقوال بعضها عن بعض ، والوصول ـ بعد ذلك ـ الى الحقيقة .

اولا) جاء في مقدمة كتبها احد علماء الاحساء وفضلائـه لديوان الشاعر المطبوع بالهند عام ١٣١٠ هـ ما نصه :

« جمال الدين أبو عبدالله علي بن مقرب بن منصور بن مقرب بن أبي الحسين بن غُرَيْرٍ بن ضَبَّابٍ (كذا) بن عبد الله بن علي ابن عبـــد الله بن محـــمد بن ابراهيم بن محمد العيونـي الأحسائي » .

ونلاحظ على كاتب المقدمة ما يأتي : ـ

١ ـ تلقيبه للشاعر بجمال الدين .

٢ ـ تكنيته له بأبي عبد الله .

٣ ـ انه سرد أسماء آباء الشاعر ، بهذا الوضع والترتيب، حتى انتهى بهم الى الجد الاعلى للعشيرة العيونية .

ثانياً) ولكن (ابن ماكولا) يقول عنه في (الاكمال) انه :

(ابو الحسن علي بن المقرب بن الحسن بن غرير بن ضبار (كذا بالراء) بن عبد الله البحراني ..) .

ويؤخذ من كلام ابن ماكولا :

١ ـ كنيته للشاعر بأبي الحسن

٢ ـ ادخال الالف واللام على اسم ابي الشاعر (مقرب) .

٣ ـ ان « ضباب » بالباء في رواية كاتب المقدمة ـ جـــاء (ضبار) بالراء في رواية ابن ماكولا .. ولعـــل ذلك هـو الصحيـــح .

٤ ـ أن ابن ماكولا قد اختصر سلسلة ابوته اختصاراً يوقع في شيء من الشك والارتباك لدى الباحثين .

ثالثاً : أما ياقوت الحموي ، صاحب كتاب « معجم البلدان » فقد قال في ص ٢٥٩ من الجزء السادس من المعجم :ـ

« .. وبالبحرين موضع يقال له (العيون)(١) ينسب اليه شاعر قدم الموصل وأنا بها ، واسمه علي بن المقرب بن الحسن بن عزيز (كذا) بن ضبار (كذا) بن عبد الله بن محمد (كذا) بن ابراهيم العيوني البحراني ، لقيته بالموصل سنة ٦١٧ هـ وقد مدح بها بدر الدين وغيره من الاعيان، ونفق فأرفدوه وأكرموه » .

ثم أورد ياقوت شيئاً من قصيدته في بدر الدين والتي مطلعها :ـ

حُطُّوا الرحالَ فقد أودت بها الرحل ما كُلِّفتْ سيرها خيل ولا ابل

وقال : وليست بالطايل عندى .

ومن كلام ياقوت نرى :

١ ـ موافقته لابن ماكولا في ادخال « أل » التعريفية على اسم ابي الشاعر .

٢ ـ أن « غرير » الذي أورده كاتب المقدمة وابن ماكولا هكذا بالغين المعجمة المضمومة والراء المفتوحة بعدها ياء ساكنة وراء قد أورده ياقوت بالعين المهملة المفتوحة والزاي المكسورة بعدها ياء ساكنة فزاي .

٣ ـ ان ياقوتا قد وافق ابن ماكولا في نطقه اسم (ضبار) بالراء لا بالباء .

٤ ـ ان ياقوتا زاد في سلسلة الابوة عمن ذكرهم ابن ماكولا، ولكنه لم يستوفها استيفاء كاتب المقدمة بل نقصها عنه .

رابعاً) : أما صاحب (تاج العروس) فقد قال عن الشاعر في ص ٣٠ من الجزء الثالث : ـ « علي بن مقرب بن منصور البحراني ، اديب سمع منه ابن نقطه » .

وابن نقطة هذا مؤلف توفي سنة ٦٢٩ هـ وهو العام الذي

---

(١) لا تزال (العيون) معروفة حتى اليوم ، وقد لحق بالبلدة القديمة شيء من آثار الحرب فى الماضى وقد اقيمت بجانبها بلدة جديدة هى المعروفة اليوم

توفي فيه ابن مقرب على الأرجح .

خامساً) : قال ابن نقطة في كتابه (المستدرك) وهو الكتاب الذي استدرك به على كتاب ابن ماكولا ـ قال في مادة « ضبار » .

« ... واما ضبار ـ بفتح الضاد المعجمة وتشديد الباء المعجمة بواحدة وآخره راء ـ فهو ابو الحسن علي بن المقرب ابن الحسن بن غرير بن ضبار بن عبد الله البحراني ، تقدم ذكره» . وكان قد قال عنه : «البحراني .. وابو الحسن على بن مقرب بن منصور بن مقرب بن غرير البحراني ، شاعر مجيد مليح الشعر قدم علينا بغداد فانشدنا قصائد من شعره » ـ الورقة ١٢٩ نسخة دار الكتب المصرية ـ .

فكناه ابن نقطة **بأبي الحسن ، وعرف اسم أبيه** بأداة التعريف مرة وتركها في المرة الاخرى ، ووافق ابن ماكولا في اسمي « غرير » « وضبار » كما وافق كاتب المقدمة في «غرير» وياقوتا في « **ضبار** » .

سادساً) : وقال ابن الشعار الموصلي المتوفي سنة ٦٥٤ هـ في كتابه (قلائد الجمان في شعراء الزمان) المصور في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة : ـ

(علي بن المقرب بن منصور بن المقرب بن الحسن بن عزيز بن ضبار بن عبد الله بن علي بن محمد بن ابراهيم بن محمد ابو عبد الله الربعي البحراني العيوني . هكذا أملى علي نسبه من حفظه) .

وكان ابن الشعار قد التقى بابن مقرب ببغداد سنة ٦٢٤ هـ ووصف شعره بأنه جزل اللفظ رصينه جيد القول متينه كما وصفه بالحذق وابداع المعاني .

ونلحظ في قول ابن الشعار ما يأتي :ـ

١ ـ أن ابن الشعار كان أكثر استيفاء لأسماء آباء الشاعر حتى الجد الاعلى ، مع تأييد ذلك بأن ابن مقرب هو الذي أملى عليه نسبه .

٢ ـ اختلافه مع كاتب المقدمة في اسم الجد الثالث للشاعر، فقد أسماه ابن الشعار « بالحسن » بينما يقول كاتب المقدمة انه

(أبو الحسن) دون ان يذكر لنا اسمه الحقيقي ، وهو يلتقي مع كاتب المقدمة في ترتيب الاسماء ما عدا ذكره (علي بن عبد الله بن محمد) بأنه « علي بن محمد » .

٣ ـ نطقه (عزيز) بعين فزاى فياء فزاى ـ متفقا في ذلك مع ياقوت ، ومخالفا لابن نقطة وابن ماكولا وكاتب المقدمة ولمن وافقهم ممن نطقه براءين بدلا من الزايين .

٤ ـ اتفاقه في نطق « ضبار » بالضاد المعجمة والباء المشددة وآخره راء ـ مع ياقوت وابن نقطه ، وجميع هؤلاء الثلاثة معاصرون لابن مقرب وقد اجتمعوا به ، وكذلك اتفاقه في ذلك مع ابن ماكولا .

٥ ـ ادخاله أداة التعريف على اسم أبي الشاعر متفقا في ذلك مع ابن ماكولا وياقوت وابن نقطه في احد قوليه .

٦ ـ لم يشر ابن الشعار الى لقب الشاعر وكنيته .

سابعا) : وقال الحافظ المنذري المتوفي سنة ٦٥٦ هـ في كتابه (التكملة لوفيات النقلة) (١) في ذكر وفيات سنة ٦٢٩ :

(... ويقال ابو الحسن علي بن المقرب بن منصور بن المقرب بن الحسن بن عزيز بن ضبار بن عبد الله بن حسن بن ابراهيم الربيعي العيوني البحراني الاحسائي الشاعر بالبحرين ...) .

وبعد ذكره لشيء من اخبار الشاعر ووصف شاعريته ،قال:

(... وعزيز بفتح العين المهملة وكسر الزاي وبعدها ياء آخر الحروف ساكنة وزاي . وضبار بفتح الضاد المعجمة وتشديد الباء الموحدة وفتحها وبعد الالف راء مهملة) .

ويؤخذ من كلام الحافظ المنذري :

١ ـ اتفاقه مع ابن الشعار في سرد أبوة الشاعر ، ما عدا قوله عن (عبد الله بن علي بن محمد) أنه (عبد الله بن حسن) .

٢ ـ تكنيته له بأبي الحسن اتفاقا مع ابن ماكولا وابن نقطة .

ثامنا) : وقال ابن الفوطي البغدادي المتوفي سنة ٧٢٣ هـ في كتابه (تلخيص مجمع الآداب) :

---

(١) النسخة المخطوطة بدار الكتب المصرية .

(موفق الدين ابو القاسم علي بن المقرب بن الحسن بن العزيز البحراني العيوني الشاعر ذكره ابن الشعار في كتابه ، وقال : كان يعقد القاف كافاً ..)

وقد أضفى ابن الفوطي على ابن مقرب لقبا وكنية جديدين لم يذكرهما سواه ، واختصر سرد أبوته ، وأدخل التعريف على (عزيز) .

تاسعاً):وقال الصفدي المتوفي سنة ٧٩٤ هـ في الوافي ـ الورقة ٨٩ ج ٢٢ النسخة المصورة عن نسخة مكتبة الفاتح باسطمبول :ـ

(علي بن المقرب بن منصور بن المقرب بن الحسن بن عزيز بن صبار (كذا بالصاد المهملة) بن عبد الله بن علي أبو عبد الله الربعي البحراني العيوني من أهل العيون بأرض البحرين ، ذكر أنه من ربيعة الفرس) .

والمأخذ البارز في كلام الصفدي هو ايراده الجد الخامس للشاعر باسم « صبار » بالصاد المهملة بدلا من الضاد المعجمة التي اجمعت عليها الاقوال المتقدمة .

عاشرا) : وفي نسخة مخطوطة سنة ١٠٠٠ هـ موجودة بمكتبة برلين : ـ

(قال الأمير الأجل ابو عبد الله علي بن مقرب بن منصور ابن مقرب بن الحسن بن عزيز بن صبار(كذا بالصاد المهملة) ابن عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن محمد الابراهيمي العيوني البحراني يمدح الناصر لدين الله، وذلك سنة عشر وستمائة : ـ

امارات سر الحب مالا تكتم وابين شيء ما يُجِنُّ المتيم

ثم شرح البيت .

وفي هذا السرد الاخير لنسب الشاعر تقارب أيما تقارب مع ما ورد في مقدمة النسخة المطبوعة في الهند . والخلاف ينحصر في ايراد اسم جده الخامس ـ وهو ضبار ـ بالصاد لا بالضاد ، موافقة للصفدي ، وفي ايراد اسم جده الرابع « وهو غرير » بعين فزاي فياء فزاي ، وفي وضع الحسن ـ الجد الثالث للشاعر ـ مكان « ابي الحسن » موافقة لابن الشعار .

احدعشر) : وورد في (مخطوطات الموصل) للدكتور داود الحلبي ما نصـــــه :

(ديوان ابن مقرب العبدلي الامير جمال الدين أبو منصور علي بن عبد الله بن المقرب) .

ومن هذا نعلم كنية أخرى لشاعرنا وهي (أبو منصور) .

هذه اقوال عدد من الكاتبين والباحثين وأصحاب التراجم ، حول اسم الشاعر ولقبه وكنيته، أوردناها وقارناها ببعضها .. فهل يجوز لنا ترجيح بعضها على بعض ؟ .. وهل نخرج من كل ذلك بما يثبت لنا التحقيق القطعي حول اسم الشاعر وترتيب أبوتـــه ترتيبـا صحيحا حتى الجد الاعلى للعشيرة .. ؟ .

اننا نلاحظ ما يأتي :ـ

١ ـ ان ياقوتا وابن نقطة وا بن الشعار هم معـــاصرون لابن مقرب ، وقد التقوا به فعلا وسمعوا منه شعره . ولهـذا يجب ان نأخذ اقوالهم بعين الاعتبار والترجيح . غير ان ابن الشعار يمتاز عن قرينيه بأنه اخذ نسبة ابن مقرب عنه مشافهة واملاء . ولـذا يمكننا ان نعتبر قول ابن الشعار هو الاساس لرأينا .

٢ ـ ان ابن الشعار ، مع ذلك ، لم يخل في نقـــله من هفوة او هفوتين ، فهو قد اسقط ـ ولعل ذلك كان سهوا ـ اسم (عبد الله) جد عبد الله بن علي ، من قائمة ابوة الشاعر ، بينما يجمع الرواة الذين استوفوا ابوة الشاعر المتسلسلة على ذكر ذلك الاسم . وهـو ـ أي ابن الشعار ـ ينطق اسم الجد الرابع للشاعر (غرير) ينطقه بعين مهملة مفتوحة فزاي مكسورة فياء فزاي ، بينما هو بالغـين المعجمة المضمومة فالراء المفتوحة بعدها ياء ساكنة فراء وأحسب أن ذلك تحريف من نساخ كتاب ابن الشعار .

وابن نقطة ينطقه ، كما علمنا من قبل (غريراً) لا (عزيزاً) .

٣ ـ ان تعريف (مقرب) بالالف واللام لدى بعـض الرواة ، انما هو لملاحظة الوصف فيه ـ وهو التقريب ـ دون لحظ العلمية ، وليس اسم (المقرب) ـ بهذه الصورة ـ علما بنفسه .

٤ ـ اما عن لقب الشاعر وكنيته ، فان من الجائز ان يحمل المرء

اكثر من لقب واكثرمن كنية،ولذا فليس من اليسير الجزم بلقب واحد وكنية واحدة ، دون غيرهما ، ثم قصر الشاعر عليهما ٠

من كل ما تقدم ، نستطيع ان نخلص الى ان شاعرنا هو : علي ابن مقرب بن منصور بن مقرب بن الحسن بن غرير بن ضبار بن عبد الله بن علي بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم بن محمد الربعي البحراني العيوني ٠

فان ذلك ما نميل اليه ، بل ونأخذ به ٠

نسبه وعشيرته : ـ

يقول ابن مقرب : ـ

منصبي في المجد أعلى منصب وعمادي في العلا أوفى عماد

وانا ابن السادة الغُرِّ الأُلى ورثوا المجد جواداً عن جواد

لم يزل فينا ربيع مربع وحمى حام وهادٍ لرشاد

ولنا فضل حلوم ما ادعى مثلها قيس ولا قس إياد

لقد كان ابن مقرب شديد الاعتزاز بنسبه ، كثير الافتخار بقومه ٠ لا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من مثل ذلك ٠

ولم لا ؟! ٠٠ ان ابن مقرب عربي صميم ، فهو يرجع بأصوله الى بني ربيعة ، وهم فخذ من قبيلة عبد القيس العدنانية ذات الأمجاد الذائعة الصيت في الجاهلية والاسلام ٠

ويقال لعشيرته (آل عبدل) نسبة الى جدهم عبد الله بن علي، أو « آل ابراهيم » نسبة للجد الأعلى ابراهيم بن محمد ، أو «العيونيون » نسبة الى منشئهم وهي بلدة « العيون » بالاحساء

وبهذه النسبة الأخيرة عرف التاريخ دولتهم وتحدث عنهم .

ومن حديث ابن مقرب عن عشيرته قوله :ـ

وارغب بمدحك الا في سليل علا ... يُنْمى الى الغرّ من آبائك النجب

متوجٍ (عبدليٍّ) حين تنسبه ... لخير جد اذا يُدعى وخير أب

وقوله مادحاً أحد بني عمه الأمراء : ـ

يابن الملوك الأُلى شادوا ممالكهم ... بسلة البيض والخَطِّيَّةِ السُّلُبِ

نماك من (ال ابراهيم) كل فتى ... مهذب طاهر الاخلاق منتخب

كم في أبوتك الامجـــاد من ملك ... بالمجد ملتحف بالتاج معتصب!

وقولـــه : ـ

نمـــاك من آلِ إبراهيم كل فتى ... منزهِ العرض من غش ومن دَغل

قوم همُ القوم في بأس وفي كرم ... وفي وفاءٍ وفي حِـــل ومرتحل

يُمضون في الناس ما قالوا وغيرهمُ ... ان أنكروا منه بعض القول لم يقل

في كل حـــيٍّ ترى الا أقلّهمو ... بيتاً ومفخرُ ذاك البيت في رجل

وقولـــه : ـ

سما بك بيت (عبدلي) أحـــله ... ديار الأعادي سُمْرُهُ وقواضبه

وعالي محل من (ربيعة) أشرفت ... علواً على كل البرايا مراتبـــه

وقولـــه : ـ

تضج حماليقُ العـدا من طعانه ... وتبكي دماً هاماتُها من ضرابه

الى الصيد من نسل «العيوني» ينتمي ... وأيّ نصاب في الورى كنصابه!

وقولـــــه :

أغر (عيـــوني) كأن جبينه صفيحة سيف اخلصته الصياقل

نماه الى العليا (فضلٌ) (وعبدلٌ) و (أحمدُ) والقرم الهزبر الحُلاحل

نشأتـــــه : ـ

ولد ابن مقرب في بلدة العيون (١) من نواحي الاحساء ، وذلك في سنة ٥٧٢ هـ (٢) ـ الموافقة لسنة ١٧٧٦ م • وترعرع بين قومه وعشيرته في ربوع البحرين ، وأخذ عن أدباء بلده وعلمائها في اللغة والأدب والشعر ، ودرس عن كثب تاريخ البحرين،وأحاط بأخبار أسرته وأخبار الدولة العيونية ، وتم له قراءة كـــثير من أشعـــار المتقـــدمـــين •

وقد قضى أيام شبابه وصباه في تلك الربوع ، وكانت له أيام عذبة في الثليم والجرعاء والجديد والمصلى والحصنين ، من بـــلاد البحرين ، ظل يتغنى بها في كثير من مناسباته الشعريـــة • ومن ذلك قوله : ـ

رعى الله (الثليم) وساكنيه وأجزاعـــاً تكنفها الثـــلام

وجاد من (الجديد) الى(المصلّى) الى «الحصنين» وكّاف رُكـــام

فمسرح لذتي ومراح لهـــوي هُنا لكُم وجيرتي الكـــرام

---

(١) ابن الشعار الموصلي فى كتابه (قلائد الجمـــان فى شعراء الزمـــان) نقلا عن ابن مقرب نفسه •

(٢) ابن الشعار أيضا بنفس المصدر ، والحافظ المنـذرى فـــى كتابـــه (التكملة لوفيات النقلة) ـ فى سرد وفيات سنة ٦٢٩ هـ ـ

وملعب كل غانيـــةٍ كَعَابٍ مخدَّمـةٍ يزين بها الخـــدامُ
يراها القابس العجلان لمحـــاً فيبقـــى لاوراءُ ولا أمـــامُ
وترســـل من لواحظها سهاماً فتمضي حيث لاتمضـــي السهام
مضى ذاك الزمان فليت أني صدى من قبل ممضـــاه وهام !

وقولـــه : ـ

يا منزل الحي بالجرعاء لابرحت تهمي بك المزن مُـنْهَلاً عزاليها
كم لي بمغنـاك من يوم نعمت بـــه وليلة تعدل الدنيـا ومافيها !!

كما قضى شطراً من أيام الشباب والصبا في اليمامة ، وفي ذلك يقـــول : ـ

لله ايـام الصبـــا إذ دارنـــا (حجر)القرى ولنا (بإجلة)معهد

(وحجر) هي قصبة اليمامة ، و (اجلة) أرض باليمامة .
ويبدو أن أيامه باليمامة كانت أيام أنس ومرح وعناق وطرب ، فهو يقول بعد هذ البيت : ـ

اذ لُمَّتي تحكـي الغداف وانمـــا اشهى الشعور الى العيون الأسود
والخد من ماء الشباب كأنمـــا فيه لأحداق الكوا عب مورد!
كم ليـلة طالت فقصَّـــر طولها شدو المزاهر والغزال الاغيـد
وترنم الاوتـار في يد قينـــةٍ غنج يدين لها (الغريض) و(معبد)

ولما شب عن الطوق ، تحركت في نفسه روح الطموح الى المجد ، ومع أنه لم يكن صاحب قضية سياسية فقد أخذت الشكوك تحـــوم حوله من قبل بني عمه حكام البحرين ، وأذكت الأيام من حدة هذه الشكوك ، فازدادت الخلافات العائلية بينه وبينهم تعقيداً ،فتصلبوا في موقفهم تجاهه واضطهدوه أيما اضطهـــاد ، وصادروا أمواله

وممتلكاته ، وشدوا عليه خناق الحياة ، فلم يجد مندوحة من مغادرة وطنه والرحيل بعيداً عن بني عمه وعشيرته فسافر الى البصرة وواسط وبغداد وديار بكر ، وأخذ يتصل بالولاة والأمراء هنا وهناك وأنشد فيهم الأشعار فأكرموا وفادته وأحلوه مكاناً طيباً من مجالسهم ، ثم دفع به الحنين الى العودة الى مسقط رأسه ، فأنشد القصائد في بني عمه الأمراء ، آملا في استجابتهم وتركهم سماع قيل الواشين والانتهازيين جانباً ، فلم يحرك ذلك منهم ساكناً ولم يصيخوا له ، فقضى آخر عمره كالطريد الشريد محروماً من أمواله وأملاكه ، وشاهد معاول الهدم في كيان الدولة العيونية وهي تعمل عملها فنصح قومه وحذرهم ولكن أحداً لم يعره أدنى اهتمام ، ورمته أقدار الحياة في نهاية الأمر بقرية نائية من سواحل عمان ، في طريق الذاهب الى الهند ، يقال لها (طيوي) ـ بالمهملة والمثناتين بينهما واو ـ فلما نزلها سماها (طيبي) بالموحدة .

وفاته :

وفي قرية (طيوي) قضى ابن مقرب نحبه (١) على الأرجح، وذكر ابن الفوطي في (تلخيص مجمع الآداب) أن وفاته كانت بالبحرين .

وقد أرخ (بروكلمان) وفاة ابن مقرب بسنة ٦٢٩ هـ . وكذلك (اهلورد) في فهرس مكتبة برلين (٢) كما ذكر الاستاذ خير الدين الزركلي في (الأعلام) أن ابن مقرب قد توفي في هذه السنة الموافقة لسنة ١٢٣٢ الميلادية . وقد ذكره صاحب (التكملة في وفيات النقلة) ضمن المتوفين في شهر رجب من هذه السنة أيضاً، ولكنه بدأ خبر وفاته بكلمة (قيل) مما يدل على الشك . أما ابن الشعار الموصلي صاحب

(١) نص على ذلك صاحب المخطوطة التاريخية الموجودة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٣٧ تاريخ ، وذكر مؤلفها ـ وهو من أهل القرن العاشر الهجرى ـ انه قد مر بتلك القرية فى طريقه للهند . وذكر الاستاذ خير الدين الزركلى صاحب (الاعلام) ان ابن مقرب توفى فى بغداد ، وهذا خطأ وقع فيه الاستاذ الزركلى ، ونحسب انه قد استدرك خطأه أخيرا فى طبعة (الاعلام) الاخيرة ، وقد تابع الزركلى فى هذا الخطأ الاستاذ درويش المقدادى فى بحثه عن ابن مقرب والمنشور بعدد ابريل سنة ١٩٦٠ م من من مجلة (العربى) الكويتية .

(٢) ص ٦ ج ٧

(قلائد الجمان في شعراء الزمان) فقد أرخ وفاة ابن مقرب بأواخر المحرم من سنة ٦٣٠ هـ . وأما الصفدي صاحب (الوافي) فأرخها بسنة ٦٣١ هـ وحددها ابن الفوطي في (تلخيص مجمع الآداب) بالمحرم من سنة ٦٣١ هـ .

توفي ابن مقرب بعد عمر لا يقل عن سبعة وخمسين عاماً ، أمضاه ـ أو أمضى أكثره ـ في صراع مرير مع دهره ، وهو صراع عاد على الشعر العربي بثروة فكرية وبيانية جمة .

شخصيته وخلقه :ـ

لابن مقرب شخصية تفرض نفسها على قارىء شعره فرضاً .. فان أول ما يتبادر لذهن قارىء هذا الشعر ، أن وراءه ، أي الشعر، شاعراً تتوفر فيه معان شتى من العزة والقوة وسمو القدر وصدق الرجولة .

فلقد كان عزيزاً في نفسه ، عالياً في همته ، طموحاً الى المجد ، تواقاً الى المعالي ، انوفاً للذل والخنوع ، كما كان متوقد العزم ، لاهب الحماسة ، صلب القناة ، حار الطبع ، حاد المزاج .

لم يكن بالترعية الغمر ، ولا بواهي العزيمة أو كابي الزناد . كان شجاعاً في رأيه ، مخلصاً في نصحه ، فاضلاً في خلقه ، مشهوداً له بالسماحة والحجا والأناة ، متحلياً بطول الصبر مع ما نابه من مصائب الزمان .. فهو كما قال :ـ

مُنيت من الزمان بعنقفير ... قليل عندها حز الشفار[1]

فراق أحبة ، وذهاب مال ، ... وضيم اقارب ، وأذاة جار

فلا والله لا وجد كوجدي ... ولا عرف اصطبار كاصطباري

كان ذا مطلب ضخم ، ومراد عظيم .. ولا شك أنه على قدر علو الغاية تكون صعوبة المرتقى . لم يشعر ابن مقرب بالضعف أمام القوى المادية التي يملكها الولاة ـ من بني عمه ـ الذين غضبوا

(١) العنقفير : الداهية

عليه أو الذين غضب عليهم وجفاهم ، بل لقد كان يحس بأن في وسعه مجابهة كل عاث وكل سلطان وأن يكون له بالمرصاد ، فهو يشعر بقوة لدنية تكافيء ـ في نظره ـ قوة الجيوش وبأسها ٠

ومع قلة أسبابه ، وتمكن الفاقة منه في كثير من الأحيان ، وبعد الشقة بينه وبين أعوانه وأصحابه ، لم يفتر له عزم ولم تلن لـه قناة ٠ كان كما حكى عن نفسه : ـ

ان ترى شخصي لأمر ساكنا فلعمري ان قلبي في طرادِ

رب ذي هـم تراه مطرقـا وهو في اطراقه حية وادى !

كان كثير الحديث عن نفسه ، كما كان شديد الاعجاب بها ، وبنسبه وبشجاعته ، مؤمناً أشد الايمان بصدق مطلبه وعدالة قضيته ٠ وقد يكون مصدر ذلك الاعجاب ما لاقاه في حياته من عنت ٠٠ ولكن قد يكون اعجابه المتناهي أحد العوامل النفسية التي حالت دونه ودون ما يطمح اليه ٠

وكان ـ لقومه ـ اللسان الذرب ، المعبر عن امجادهم ، المنافح عن حوزتهم ٠٠ كان لهم كصحافة اليوم الحزبية ٠٠ بالرغم من أن قومه قد ناصبوه الريب والحذر فتحدوا مشاعره وضايقوه في عيشه ٠٠ فبقدر ما ناله منهم من قسوة ومضايقة وحرمان كان يمد لهم يد القرابة والعشيرة ٠

وكان ، في غربته ، حفياً بأنبائهم ومسائلا عن احوالهم ٠٠ كان يبخل بمودتهم عن قطع الرحم ٠٠ وكان يعتد بالواحد منهم ويحسبه سيفه البتار في مواجهة الحياة والناس ٠٠ ولهذا نجده يقول عن حالته تلك مع بني عمه : ـ

وان انفرادي عنهمُ وتغربي ترامى بيَ الامواجُ والحُزْنُ والسُّهْب

بغير اختيار كان مني ولاقِلىً وانهمُ لَلْعَينُ والانف والقلب

ولكنها الايام تُبعد تارة وتُدني ، ولابُعْدٌ يدوم ولاقرب

واني حفيٌ عنهمُ ومسائل بهم حيث يثوى السَّفر أو ينزل الركب

وكم قائل لي : عدِّ عنهم فانه ... مع الالم المضاض قد يقطع الارب!

فقلت: رويداً :قد صدقت وذلكم ... اذا لم يكن فيه لحامله طب

اذا لم أُداوِ العضو الا بقطعه ... فلا قَصَبٌ يبقى لعمري ولا قُصْبُ!

واني بقومي لَلضَّنينُ واتني ... على بعد داري والتنائي بهم حدب

ولي فيهم وسيف اذا ما انتضيتُه ... على الدهر، اضحى وهو من خيفةٍ كَلْبُ

هكذا كان شديد الاعتزاز بالبيت العيوني أو العبدلي ٠٠ كان يتمثل الهمة العبدلية في كل حين ٠٠ وكان الافتخار بقومه ملء مشاعره بالرغم من تردى علاقته بهم ٠٠ وتلك لعمري ـ ذروة الشيم ، وهي سنة عربية حميدة سجلها تاريخ العرب بمداد من نور وفي صفحات من فخار ٠

وابن مقرب ـ من بعد ـ مشهور بالاحسان الى المحتاجين ، ومعروف بالتقوى والعفاف والتمسك بأهداب الفضيلة ٠٠ لم يؤثر عنه في شعره ما يشين خلقه ، ولم ينزلق لسانه الى سفاسف القول أو سقط الاخلاق (١) ٠٠ وأما قصيدتاه اللتان هجا بهما ابن الدبيثى (٢) ، واللتان حوتا كثيراً من الالفاظ والعبارات الهاجنة التي يأباها الذوق وينفر منهما السمع وتشمئز منها النفس فنحسب أنه قد نظمها وهو في حالة انفعال حاد وثورة نفسية هائجة، ضد المهجو ، لم يستطع معهما تمالك أعصابه ولا مسك زمام نفسه، علاوة على أنه قد توفر في المهجو من الأسباب ، ولو في نظر الشاعر على الأقل ، ما يوجب مثل هذا القول ٠

معتقده :

ابن مقرب سني المعتقد ، ونظرة واحدة في أشعاره توحي بذلك ٠

---

(١) وفي هذا يقول ابن مقرب :

هل جاء قومي وأخداني الذين همُ ... إن أُرمَ من قبل الرامين لاقبلي

بأنني لم أرد وِرداً أُعاب به ... ولم اقف ذات يوم موقف الخجل؟!

(٢) سيأتي الكلام عنهما فيما بعد ٠

وكذلك أبناء عمه العيونيون الذين كانوا يسيرون في معتقدهم وفي أحكامهم وتطبيقهم لحدود الشريعة وفق مذهب أهل السنة ، وكانت لهم مواقف خالدة في احياء ما اندرس من معالم السنة ٠

بيد أن رحلاته المتتالية الى بلاد العراق كانت مثار اختلاف بين بعض الباحثين في معتقده ، حتى رأينا بعض الشيعة يقولون عنه أنه شيعي المعتقد ، وقد آزروا دليلهم هذا بدليل آخر وهو أنه مدح في شعره (آل البيت) وهذه حجة واهية لا يعتد بهـا في الواقع ٠ وللرد على هذين الاستدلالين ، نقول : ان قصده العراق كان لأنه البلد القريب من وطنه ، ولأن في العراق من الولاة والأمراء من يلتجىء الى حماهم ويلوذ بكنفهم ولأن بغداد لا تزال العاصمة الرمزية للعالم الاسلامي ولا يزال بنو العباس فيها يتوارثون منصب الخلافة ، ثم ان التاريخ لم يثبت لنا اطلاقا أن ابن مقرب قد عرج على الأماكن المقدسة عند الشيعة ، وليس في شعره ما ينم عن ذلك ، ولو كان فعل لظهر له أثر في شعره قطعاً ٠ اما عن مدحه لآل البيت فليس مثل هذا وقفاً على الشيعة دون أهل السنة ، فان أهل السنة يجلون أهل البيت ويكنون لهم صادق الحب ٠

وأيضا ، فان صلته بعلماء السنيين ، وخاصة الحنابلة والشافعية ، ومدحه لبعضهم ، ثم ثناءهم عليه ، وكذلك مديحه للأمير شمس الدين باتكين لأنه قد أحيا سنن مالك وابى حنيفة والشافعي ٠٠ كل هذه الأمور تنفي الشك في معتقد ابن مقرب وتزيله وتؤكد ما قلناه عنه ٠ وسنأتي على ذكر شيء من هذه الصلات والأماديح في فصل قادم ٠

على أن نسخة خطية واحدة من ديوانه ، محفوظة بدار الكتب المصرية ، كتبت سنة ١٢٨٦ هـ ، اشتملت على قصيدة تتسم بمظاهر التشيع وتزخر بشتيت من صوره ، ومطلع القصيدة :

يابا كيا لدمنة واربع ... ابكِ على آل السنبي او دعِ

يكفيك ماعاينت من مصابهم ... من ان تبكي طللا بلعلع

وفيها استرسال في رثاء الحسين بن علي (رضي الله عنهما) ووصف باك لموقعة كربلاء وفيض غزير من الندوب واللهفات

والأحزان والحسرات لما جرى في ذلك اليوم ، كما تضمنت لعناً لأولئك الذين أداروا رحى الحرب ضد الحسين رضي الله عنه .

والناقد الفاحص لا يمكنه الجزم بصحة نسبة هذه القصيدة الى ابن مقرب للأسباب التالية :ـ

١ ـ أن روح ابن مقرب الشعرية والفكرية ، وطابعه اللغوي والأسلوبي ، أمور تنعدم تماماً في هذه القصيدة ، ولا نكاد نعثر لها على أثر ، وهذا وحده كاف جداً للقول بأنها ليست من شعره .

٢ ـ أن القصيدة قد انفردت بها نسخة خطية واحدة دون سائر نسخ الديوان المخطوطة الأخرى .

٣ ـ أن الناظم قد قال في ختام القصيدة : ـ

اليكُمُ نفثة مصدور أتت من مُفحَم الشعر الى مصقّع

مقربي عربي طبعهُ ونجره ، وليس بالمدرّع

ونسبة القصيدة اليه بهذه الطريقة تزيد من الشك فيها وفي كونها من شعر ابن مقرب حقاً .

٤ ـ ليس في شعر ابن مقرب ، على سعته وكثرته ، أية صورة من صور التشيع ، وهذا من شأنه أيضا زيادة الشك في نسبة هذه القصيدة اليه ، اذ لو كانت القصيدة من شعره حقيقة لرأينا في قصائده الأخرى شيئاً من سمات هذا اللون الذي اتصفت به القصيدة .

وعن هذه النسخة التي انفردت بهذه القصيدة ، نقل ـ على ما يبدو ـ صاحب كتاب (أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والاحساء والبحرين) المتوفي سنة ١٣٤٠ هـ ـ نقل بعض أبيات من القصيدة عندما ترجم لابن مقرب (١) . وجميع الذين ترجم لهم في كتابه من الشيعة ، وهذا نفسه سبب جديد للشك في نسبة هذه القصيدة . ولقد أورد صاحب (أنوار البدرين) أيضاً مقتطفات من قصيدة أخرى في رثاء الحسين رضي الله عنه قال انها من نظم ابن مقرب دون أن يذكر مصدر قوله . ومخطوطات الديوان

---

(١) ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ مطبعة النعمان ـ النجف ـ ١٣٨٠ هـ .

المعروفة تخلو من هذه القصيدة . ومطلع هذه القصيدة : ـ

من اى خطبٍ فادح تتـــألم ولأي مرزئة ننوح ونلطمُ ؟!

ومنهـــا : ـ

قمنا بسنتكم وحطنـــا دينكم بالســـيف لانالو ولا نتبرم

وعلى المنابر صرحت خطباؤنا جهراً بـكم وانوف قوم ترغم

لاتسلموني يـــوم لامتاخر لي عن جزاعملي ولامتقـــدم

وكما رفضنا الرأي الذي يقول به صاحب (أنـوار البدرين) فاننا أيضا ـ وللأسباب نفسها ـ نرفض ما ذهب اليه السيد محسن الأمين ، وهو من رجال الشيعة ، في كتابه (أعيان الشيعة) الـذي أعتبر فيه ابن مقرب شيعياً ، فالأدلة على تشيـع ابن مقرب تقصر دون ما ذكرناه وما ذهبنا اليه ..

وعلى العموم ، فان كون ابن مقرب سنياً أو شيعياً هو أمر يعني الباحث كثيراً ، وذلك لأن المعتقد ـ أى معتقد ـ ذو أثر انعكاسي في نفسية المرء وخلقه وشخصيته وتفكيره ، وهذه أمور تمثل شيئـاً كبيراً في شعر الشاعر ، فلا بد من دراســة أبعادها التي يمثـل المعتقد أحدها .

ديـــوانه : ـ

لابن مقرب ديوان يضم أكثر ما قال من الشعر ـ لا كل ما قال ـ وهو لا يقل في ضخامته عن دواوين كثير من علية الشعراء .

وقد طبع الديوان مرتين : ـ

الأولى ، كانت بمكة المكرمة ، في أيام العثمانيين ، سنة ١٣٠٧هـ ولكن هذه الطبعة رديئة وسقيمة وغير محققة ، ولذا جاءت مشحونة بكثير من الأخطاء التطبيعية والاملائية وعدم الدقة والاتقـــان في اخراجها ، ولا يمكن للباحث أن يعول على هذه المطبوعة وحدها . وهذه الطبعة هي أولى طبعات الديوان ، وقد جاء ترتيب القصائـد

فيها على حسب الحروف الهجائية للقوافي . وقد قام بطبعها على نفقته الشيخ عبد الله بن سعيد باخطمه .

أما الطبعة الثانية ، فقد كانت في الهند بمطبعة ديرت ساد عام ١٣١٠ هـ ـ أى بعد الطبعة الأولى بثلاث سنوات ـ وقد قام بجمع قصائدها الشيخ حمد بن خليفة العيوني (١) وطبع على نفقة الشيخ عبد العزيز بن أحمد العويصي . وكانت بخط رئيس المحررين بالهند يومذاك ملا محمود بن الشيخ آدم المقدم الكوكيني الشافعي ، فقد تم الطبع بواسطة الحجر حسبما هو شائع في الطباعة بالهند يومذاك . أما ترتيب القصائد في هذه الطبعة فقد جاء أيضا بحسب أحرف الهجاء للقافية .

وميزة هذه الطبعة عن الأولى أن الأخيرة مشروحة ، وهذا الشرح قديم ولا نعلم صاحبه .

ولم تكن الطبعة الهندية ـ هي الأخرى ـ سليمة من الأخطاء وعدم العناية ، ولكنها أخف في ذلك من طبعة مكة ، كما أنها لم تستوف بعض قصائد الشاعر . وفي الطبعة المكية أبيات لم نعثر لها على أثر في طبعة الهند .. فمثلا القصيدة البائية التي مطلعها :ـ

خذوا عن يمين المنحنى أيها الركب لنسأل ذاك الحي : ما صنع السِّرب ؟!

هذه القصيدة ليس موجوداً منها بطبعة الهند سوى ٥٨ بيتاً ، بينما بلغت بها طبعة مكة «٨٢» بيتاً . هذا ومجموع أبيات الطبعة الهندية يبلغ (٤٥٧٠) بيتاً بينما طبعة مكة لا تحتوي الا على قطعة من شعره لا تبلغ الفي بيت .

وقد تصدرت الديوان المطبوع بالهند مقدمة مفيدة ، ولا نعلم كاتبها أيضاً ، ألقت بعض الضوء على حياة شاعرنا وأخلاقه ومكانته الشعرية ورحلاته وعلاقاته بحكام عصره . كما اشتمل الشرح الموجود بهذه الطبعة لقصائد الديوان على كثير من الفوائد التاريخية

---

(١) ولا نعرف هل هو ـ بهذه النسبة ـ ينتمى الى (العيونيين) الذين منهم الشاعر ، أم انها مجرد نسبة الى بلدة العيون ..

المتعلقة بالبحرين عامة وبالدولة العيونية خاصة مما يفيد الباحثين كثيرا ، وتلك المقدمة مع هـذا الشرح يعتبران مصدرأمن مصادر ذلك عن الديوان المطبوع (١)

اما عن نسخ الديوان المخطوطة الموجودة في العـالم العربي وفي غيره ، فان ما نعرفه منها هو :

١ ـ نسخة موجودة بمكتبة البلدية بالاسكندرية بمصر • وقـد تم نسخها ، حسب ما جاء في آخرها في سنة ١٢٨٤ هـ • وقد بلـغ مجموع أبياتها ٤٨٣٧ بيتاً ، فهي تزيد على النسخةالمطبوعة في بمبي بالهند بسبعة وستين ومائتي بيت •

٢ ـ نسخة بالمكتبة الماجديـة بمكة ، وهي تطابـق النسخـة المطبوعة بالهند من بعض الوجوه، الا أن في نسخة المكتبة الماجدية بعض الزيادات على ما طبع ، ومع هذا فان أبيات النسخة الماجدية

---

(١) قام ، مؤخرا ، سمو الشيخ على آل ثانى ـ حاكم قطر السابق ـ بطبـع ديوان ابن مقرب على نفقته الخاصة ، وذلك عمل يستحق عليه سـموه الشكر والتقدير من ذوى العلم والادب ، ولكن كم تمنينا لو وكل سموه الى نخبة مـن أهل العلم والبحث والدراية بتحقيق الديوان تحقيقا علميا متقنا قبـل طبعـه ، خاصة وان سموه لن يضن بشيء فى سبيل ذلك •

كما قام أيضا الاستاذ محمد الحلو (وهو مـن مصر وكان مدرسـا بمعهـد الاحساء العلمى) بطبع الديوان طباعة حسنة ولا بآس بها ، وبذل فى ذلك جهدا ملحوظا وقد قام بتحشيته ببعض الشروح وعمل له مقدمة مناسبة ولكنـه فى الشرح اعتمـد على الشرح المذيل به الديوان المطبوع فى الهند اعتمـادا واضحا ، كمـا انـه فى المقدمـة قد اسـتفاد كثيـرا من النقـول والمقتطفـات التى اختارها أستاذنا العلامة الشيخ حمد الجاسر من بعض كتب التراجم عن ابـن مقرب ، والمنشورة بالعدد الصادر فى ٧ ـ ٩ ـ ١٣٨١ هـ من جريدة (اليمامة) كذلك أضاف الاستاذ الحلو الى الديوان بعض قصائد يشك هو نفسه فى نسبتها لابن مقرب ، وكان حريا به أن يتروى وان يتحقق قبل أن يعمد الى اضافتهـا • وعلى العموم فان عمل الاستاذ الحلو بطبعه الديوان ونشره هو عمل جليل ومفيد ويستحق عليه الشكر والثناء •

هي ٣٥٥٦ بيتاً فقط أي انها تنقص عن نسخة الهند المطبوعة في عدد أبياتها .

وقد اطلعت على هذه النسخة ، وكانت في حوزة الاستاذ صادق ماجد الكردي ، بعد وفاة والدة الشيخ ماجد ، فألفيتها قد سقطت منها المقدمة ومعظم القصيدة الأولى وهي ـ أي القصيدة ـ تبدأ بهذا البيت الآتي نصه :

فلكل شاوى وراعي هجمة جاف حديث العرف كالكشحاء

كما انه قد سقط من آخر النسخة بعض ورقات .

وهذه النسخة هي بخط ناصر بن حمد بن لاحق ، من تلاميذ الشيخ صالح العتيقي ـ من أهالي مدينة المجمعة بنجد ـ وقد نسخها ابن لاحق بالاجازة من شيخه العتيقي .

وتعد هذه النسخة من اتقن نسخ الديوان المخطوطة .

وقد تم نسخها في شهر رجب من عام ١١٩٤ هـ .

٣ ـ يوجد في مكتبة الحرم المكي نسخة مخطوطة تضم طائفة من أشعار ابن مقرب ، وتبلغ أبياتها واحداً وعشرين ومائة وألف بيت .

٤ ـ ذكر الدكتور داوود الحلبي في (مخطوطات الموصل) ـ صفحة ٤١ ـ ان في مكتبة المدرسة الاسلامية التابعة للنادي العلمي في الموصل نسخة من (ديوان ابن مقرب العبدلي الامير جمال الدين أبو منصور علي بن عبد الله بن المقرب) .

٥ ـ نسخة خطية ، موجودة بدار الكتب المصرية (قسم المخطوطات) برقم (١٢٦ أدب) مكتوبة بخط واضح ، وقد سمي الناسخ شاعرنا محمد بن علي المقرب . وتقع هذه النسخة في ١٦٩ ورقة ، وقد كتبها بقلمه أمين حسن أبو القاسم ، وذلك في سنة ١٠٦٧ هـ .

٦ ـ نسخة خطية ثانية بقسم المخطوطات من دار الكتب المصرية ، برقم (٥٢٢ أدب) مكتوبة بخط واضح أيضاً سنة ١٢٨٦ هـ في ١٢٥ ورقة . وقد كانت هذه النسخة ملك الشاعر

الشهير محمود سامي البارودي • وتعتبر هذه النسخة أكثر شمولا لشعر ابن مقرب •

٧ ــ نسخة خطية ثالثة بقسم المخطوطات من دار الكتب المصرية، برقم (١٠١٧ أدب) وكتابتها واضحة وعلى ورق جيد ، وكانت كتابتها في سنة ١٢٩٣ هـ ، وتقع في ١٢٢ ورقة ، وهي بقلم خليل الشبكشي ، وقد سمي الشاعر في هذه النسخة محمد بن علي ابن المقرب •

٨ ــ نسخة خطية بالمكتبة الأهلية بمدريد (اسبانيا) • وهذه النسخة ــ كما يقال ــ غير مبوبة وتفتقد كثيراً من شعر الشاعر •

٩ ــ نسخة بدار الكتب الظاهرية بدمشق ، وفيها كثير من الأبيات وبعض القصائد التي لم ترد في النسخة المطبوعة بالهند ونسبة الخطأ في نسخها قليلة •

١٠ ــ نسخة بمكتبة فيض الله باسطمبول ــ بتركيا ــ•
١١ ــ نسخة بمكتبة المتحف البريطاني ــ بلندن ــ •
١٢ ــ نسخة بمكتبة برلين •

هذا ، واننا لنرجو لديوان ابن مقرب مزيداً من العناية والاهتمام من لدن الباحثين والمحققين والمعنيين باحياء التراث الفكري العربي وباخراجه بالصورة العلمية الوافية •

موطن الشاعر
او البحرين في التاريخ

وطن الشـــاعر :

البحرين هي وطن الشاعر ، فيها ولد وفيها عاش ، وهي مهـد آبائه وأجداده ، ومنبت أرومته ومحتده ، فقـد سكنتها في عصر الجاهلية الأول قبائل عبد القيس العدنانية وكان لهم ـ في أغلـب الاحيان ـ الملك والسيادة .

وقد أخطأ من نسب ابن مقرب الى غـــير البحرين من شراح ديوانه أو نساخه ، ومن ذلك الخطأ ما جاء في الصفحة الأولى مـن نسخة الديوان المخطوطة بمكتبة بلدية الاسكندريـــــة ونصه : (هذا ديوان الامام ابن المقرب الحماسي اليمني البغدادي رحمه الله تعالى) ، كما أن بعض المؤرخين أصحاب التراجم قد وقع في الخطأ ايضاً حينما نسب ابن مقرب الى غير وطنـــه ، ومن هؤلاء الشيخ خير الدين الزركلي في كتابه (الأعـــلام) ـ ص ٩٤٧ ـ حيث قال عنه انه شاعر من أهل بغداد . وهذا كثير من عالم بحاثه كالأستاذ الزركلي فان نظرة سطحية عـــابرة في ديوان الشاعر كفيلة جداً بدحض هذا القول والرد عليه واثبات ان شاعرنـــا بحراني صميم .

فابن مقرب بحراني ، من الاحساء ، من قرية (العيـون) ـ طرف الاحساء الشمالي وعلى بعـــد ١٥ كيلا من مدينة الهفوف المعروفة اليوم ـ والى « العيون » نسبت الدولة العيونية ، وهـي دولة العبادلة آل ابراهيم قوم الشاعر والـــتى حكمت البحريـن حيناً من الدهر .

فذلكة تاريخـــية : ـ

ومن لزام الحديث ، ونحن نستعرض حياة ابن مقرب من جـل نواحيها ، أن نأتي في هذا الفصل بفذلكة تاريخية لاقليم البحرين .. وطن الشاعر .

والبحرين ـ في الاصطلاح التاريخي ـ يطلق على البلاد الواقعة على الساحل الغربي للخليج العربي ، من البصرة شمالا حتى عمان جنوباً ، وكانت عاصمة البحرين (هجر) أو الاحساء ، ثم تلاشى

اسم البحرين تدريجيا مع عامل الزمن حتى أصبح اطلاقه مقصوراً على مجموعة من الجزر الصغيرة أكبرها جزيرةأوال، وقد احتفظت هذه الجزر باسم البحرين الى يومنا هذا ٠

وبلاد البحرين عريقة في الحضارة ، حتى لقد قال أحد المؤرخين بأن الخليج العربي هو مهد الحضارة الانسانية ، بل مهد الجنس البشري نفسه ، وان سكان جزره وساحله الغربي هم أول من رفعوا شراعاً في البحر واقتحموا لجبه وأخطاره ، فكانت بلادهم بمثابة حلقة اتصال بين الشرق والغرب ٠

وقال بعض آخر من المؤرخين أن الفنيقيين هم من هذه الربوع وأنهم سكنوها قبل نزوحهم الى سواحل لبنان ، على الشاطىء الشرقي للبحر الابيض المتوسط ، وقد نقلوا معهم مبادىء الأبجدية وجوانب خالدة من الحضارة ٠

والحق ان بالبحرين ، اليوم ، من الادلة المادية الملموسة ما يثبت لنا « فينيقية » الخليج ٠ والفينيقيون عرب في أصح الروايات ٠

ولمكانة هذه البلاد التجارية قديماً ، حاول كثير من ملوك آشور وبابل واليونان اخضاعها لنفوذهم، ومن هؤلاء الاسكندر المقدوني الذي جهز أسطولا هائلا طمعا في الاستيلاء عليها ولكنه مات قبل أن يحقق مشروعه ٠

وعلى صعيدها ، التقى ، منذ قديم العهد ، الهندي والأفريقي والكلداني والفارسي والبابلي والآرامي والفرعوني والاسرائيلي والاغريقي وأجناس كثيرة أخرى ، مما يدل على مجدها التجاري والحضاري ٠

وكانت السيادة في العصر الجاهلي في البحرين للعرب ، وزعم بعض المؤرخين من الشعوبيين أن الفرس قد استعمروها بعض الوقت ، قبيل الاسلام وفي السنوات الأولى للبعثة ، ولكنهم ــ أى هؤلاء المؤرخين ــ اعترفوا بأن ولاتها كانوا من العرب ٠

ومعظم العرب بالبحرين من عبد القيس وتميم ووائل ٠

وأنجبت البحرين ، في العصر الجاهلي ، عددا من دهاقنة الفكر وعمالقة الشعر أمثال سعيدبن مالكوالمرقشان والمتلمس وطرفةبن العبد ٠ وساعد على ازدهار الحياة الأدبية بها يومذاك وجود أسواق عامة يرتادها الناس للتجارة والمساجلة بالشعر ٠

وبعد ظهور الاسلام ، أرسل عرب البحرين وفداً ليفاوض الرسول صلى الله عليه وسلم فعاد الوفد مقتنعاً بالدعوة فأسلم أكثر أهل البحرين ، فقدم عليهم من المدينة العلاء ابن الحضرمي معلما ومرشداً وهادئاً • وبعد وفاة الرسول ـ ص ـ ارتد أكثر الناس هنالك عن الاسلام ، فجهز اليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه جيشاً بقيادة العلاء ، ولكنه لم يتمكن من اخضاعهم فجاءه المدد من اليمامة ، من خالد بن الوليد ، بعد قمع بني حنيفة ، ففرت مقاتلة أهل البحرين الى جزيرة (دارين) وتحصنوا بها ، وهناك أطبقت عليهم جيوش المسلمين فأخضعوهم وردوهم الى الاسلام • ومن ثم عادت البحرين الى ظل الخلافة •

وظلت البحرين تحت حكم الخلفاء الراشدين ثم الأمويين حتى عهد عبد الملك بن مروان اذ ثار أحد الخوارج بجزيرة اوال ، ولكن جيوش عبد الملك تمكنت من اخماد الثورة في المهد ، وفي عام ٨٦ هـ تمكن مسعود بن أبي زينب العبدي من غلبة العامل الأموي والاستيلاء على البحرين لمدة تسعةعشر عاما،ثم استعادهاالأمويون•

وأنجبت البحرين أثناء العصر الاسلامي والأموي ، عدداً من فطاحلة الفكر والعقل والشعر لعل أبرزهم قطري بن الفجاءة والصلتان العبدي وعيسى بن فاتك الخطي •

ثم دخلت البحرين في حوزة بني العباس حتى عام ٢٤٩ هـ حيث استولى عليها (صاحب الزنج) الذي ادعى النبوة لنفسه ، وبعد حروب دامية قتل صاحب الزنج ، وذلك في سنة ٢٧٠ هـ فعادت البحرين عباسية •

وخلال هذه الفترة ازدهرة الحياة العلمية والأدبية بالبحرين ، وبرز علماء أفذاذ في الفقه واللغة والفلسفة ، كما برز آخرون في نقد الشعر وتاريخ الأدب من أمثال موفق الدين الاربلي • كما كان للشعر في هذا العصر بالبحرين دولة سامقة الفروع تعهدها بالرعاية شعراء مجيدون من أمثال معاذ الأزرق وأحمد بن منصور القطيفي وغيرهما •

ظهور القرامطة :

وبعد ثمان سنوات من مصرع صاحب الزنج تقريباً ، بدأ

ظهور القرامطة على مسرح التاريخ العربي والاسلامي . وكانت نقطة انطلاقهم من البحرين ، وتولى زعامتهم أبو سعيد القرمطي الذي جهز عليه الخلفاء الجيوش تلو الجيوش ، وكانت غالبا تؤوب بالفشل الذريع .

والقرامطة فرقة أصبحت في ذمة التاريخ ، ولا نود أن نكون متأثرين بما كتبه المؤرخون المتداولة تواريخهم بين أيدينا عن هذه الفرقة ، والبحث العلمي لا يبيح لنا أن نحكم على فرقة ما بما يحكم به عليها خصومها وأعداؤها ، وليس معنى هذا أننا ننفي ما حدث من هذه الفرقة من أفعال سيئة مشينة .

وللمستشرق الفرنسي دي كوجيه مؤلف عن القرامطة استقى مواده مما أثر في المؤلفات التي بين أيدينا . وللرحالة الفارسي ناصر خسرو – وهو باطني – وصف في رحلته المعروفة (سفر نامه) يلقي ضوءاً على أحوال هذه الفرقة ، كما نجد في المخطوطة الماجدية من شرح ديوان ابن مقرب في الكلام على استيلاء آل العوام على جزيرة اوال في عهد القرامطة ما يدل على تسامح هذه الفرقة وأخذها برأي حرية الأديان حيث سمحت لآل العوام وللسنيين في أوال ببناء مسجد واظهار شعائر دينهم بدون مضايقة ، وناصر خسرو أشار الى ذلك حينما قال بأنهم لم يبنوا شيئاً من المساجد ولكنهم حينما أراد أحد الحجاج أن يبني جامعاً في الاحساء لم يمنعوه عن ذلك .

واجتاز القرامطة في غزواتهم حدود البحرين ، فاستولوا على اليمامة ، ثم واصلوا الزحف الى مكة ، فامتهنوا المشاعر والمقدسات الاسلامية ، وأقتلعوا الحجر الأسود وحملوه معهم الى الأحساء فظل هنالك ثلاثة وعشرين عاماً ثم اعادوه (١) وظلت البحرين في

---

(١) جاء في دائرة المعارف (باشراف الاستاذ فؤاد افرام البستاني) ان القرامطة قد نقلوا الحجر الاسود الى ربوة بجوار (سيهات) من نواحي القطيف . ولم يقل أحد من المؤرخين بذلك ولا نعرف من أين استقى الاستاذ البستاني قوله هذا . وانما الذي عليه الاتفاق ان الحجر قد نقله القرامطة الى هجر (الاحساء) حيث أسسوا هناك دارا أسموها (دار الهجرة) ووضعوا الحجر الاسود فيها وصرحوا بالحج الى هذه الدار . ووجود مكان قرب سيهات يعرف اليوم باسم (الكعيبة) لا ينهض دليلا على أن الحجر الاسود قد نقل الى هناك .

قبضة القرامطة حتي ضعف أمرهم ، فهب لقتالهم ثلاثة من رجالات العرب بالبحرين وهم : ــ

١ ــ الأمير عبد الله بن علي العيوني ، في الأحساء (وهو الجد الاعلى لشاعرنا ابن مقرب)

٢ ــ يحيي بن العياش ، في القطيف ٠

٣ ــ أبو البهلول محمد بن يوسف الزجاج ، في جزيرة أوال ٠

أما دوافع الثورة ، فهي كما يذكرها المؤرخون ، ما كان يعاني منه أهل البحرين من عسف وجور وبغي وارهاق وامتهان للمشاعر والمقدسات والمحارم ٠٠ وحسبنا هنا أن ننقل بعض أبيات لابن مقرب تصور شيئاً من أفعال القرامطة ، وذلك من قصيدته الميمية التي يفتخر فيها بأجداده الذين شظوا جماجم القرامطة : ــ

سل (القرامط) من شظّى جماجمهم ... فلقا وغادرهم بعد العلا خدما ؟!

من بعد أن جل بالبحرين شأنهمُ ... وارجفوا «الشام» بالغارات و«الحرما»

ولم تزل خيلهم تغشى سنابكها ... أرض «العراق» وتغشى تارة «أدما» [1]

وحرقوا (عبدقيس) في منازلها ... وصيروا الغرمن ساداتها حُمَما

وأبطلوا (الصلوات الخمس) وانتهكوا ... « شهر الصيام» ونصوا منهُم« صنما »

وما بنوا مسجداً لله نعرفه ... بل كل ما ادركوه قائما هُدِما

ثار هؤلاء الثلاثة على القرامطة ، عندما واتت الفرصة، وسنحت الظروف ٠ وقد كان التوفيق لهم حليفاً ٠

أما عبد الله بن علي العيوني ، فقد كاتب أبا الفتح جلال الدين السلجوقي ببغداد ، شارحاً له احوال البلاد وطالباً منه العون، فأرسل اليه القائد اكسك سالار بك حبوان في جيش كبير ، فتم لعبد الله بذلك تخليص الاحساء من براثن القرامطة بعد حروب طاحنة انتهت في سنة ٤٦٨ هـ ٠

---

(١) أدم : قرية في عمان

وأما أبو البهلول ، فقد استطاع ـ في أول لقاء ـ ان يسحق قوة القرامطة في أوال وأن يطرد منها عمالهم وأن يخضعهـــا لنفـوذه بضـــع ســنوات ٠

أما يحيي بن العياش ، فقد نهض في القطيف وطرد منها عمال القرامطة وأخضعها لنفوذه (١) ٠ ثم طمع بن العيـــاش في انتزاع أوال من أبي البهلول ، فلم يتمكن ، ومات بعد ذلك ٠ فخلفه ابنـه زكريا الذي واصل خطة أبيه ، فظفر بأبي البهلول وقتله فاستولى على جزيرة أوال وضمها الى القطيف ٠

ثم فكر زكريا بن العياش ـ بعد ضم أوال ـ في الاستيلاء على الاحساء آملا توحيد البحرين تحت تاجه ، فالتقى جيشه مع جيش عبد الله بن علي العيوني ـ أمير الاحساء ـ فانهـزم جيش ابـــن عياش في الواقعة الأولى ، وقتل ابن عياش نفسه في الواقعة الثانية٠ وبذلك خلا الجو للعيونيين ، قوم ابن مقرب،فاستولوا على القطيف وجزر أوال،وهكذا تم توحيد البحرين تحت علم الامارة العيونية٠ وقد أشار ابن مقرب الى حروب جده عبد الله مع ابن عيـــاش ، فوصفها بايجازفي معرض افتخاره بجده الاول عبد الله هذا ،فقال:

ولم ينجُ (ابنَ عَيّاش) بمهجته ... يمٌ إذا مارآه الناظر ارتسما (٢)

اتى مغيراً فوافى جـوّ (ناظرة) ... فعاين الموت منادون ما زعما (٣)

فراح يطرد طرد الوحش ليس يرى ... حبل السلامة الا السوط والقدما

فانصاع نحو (أوال) يبتغي عصما ... اذ لم يجد في نواحي «الخط» معتصما

فاقحم البحر منـا خلفه ملـك ... مازال ، مذ كان ، للاهوال مقتحما!

---

(١) وكان انقراض القرامطة ودولتهم فى البحرين سنة ٤٧٠ ، ففي هـــذا العام كانت خاتمة أمرهم ٠

(٢) ارتسم : كبر وتعوذ ودعا ٠

(٣) ناظرة : مكان معروف وفيه حدثت الوقعة الاولى بين عبد الله وابن عياش

فجاز ملك (اوال) بعد ماترك (الـ عكروت) بالسيف للغبراء ملتزما[1]

فصار مُلك (ابن عياش) وملك (ابي الـ بهلول » معُ ملكنا عقداً لنا نظما

من ذا يقاس بعبد الله يوم وغى في بأسه أو يباري جوده كرما؟!

الدولة العيونية : ـ

استقر الأمر لعبد الله بن علي العيوني بالبحرين ، وقد صادفته في مستهل حكمه بعض العقبات والثورات المحلية ، وأشهرها ثورة بني عامر .. ولكنه استطاع بحزمه وشجاعته أن يجابه الزعازع بالقوة والبأس ، فقضى على تلك الحركات وأخمدها ، وأسس ملكاً متيناً وطيداً ، قوي الدعائم والأركان ، وقد توفى عبد الله على رأس عام الخمسمائة تقريباً . وخلف ثلاثة من الابناء وهم : ـ

الفضل ، وعلي ، وضبار .

وقد تعاقب على أريكه الحكم بعد عبد الله المؤسس ، عدد من ابنائه واحفاده (٢) من أشهرهم : ـ

الفضل بن عبد الله العيوني :

وكان شجاعاً قوياً ، معروفاً بكرم النفس واليد ، كثير التعقب للمفسدين والعابثين بالأمن ، فخافته الأعراب ولصوص الطرق .. ولهذا يشير ابن مقرب على سبيل الاعتزاز والافتخار: ـ

وان تفتخر بالفضل (فضل بن عبدل) فيا بابي أعراقه ومناسبه !!

هما محمي (البحرين) سبعاو مثلها سنين ، وسارت في الفيافي مواكبه

ولم يرع من (ثاج) الى (الـمل) مصرم على عهده الا استُبيحت حلائبه

زمان يقول (العامري) لمن غدا يحذره عنه وذو الحمق غالبه:

---

(١) العكروت : هو احد قادة جيش ابن عياش البارزين .

(٢) يجد القارىء في نهاية حديثنا عن الدولة العيونية شجرة بنسب هذه الاسرة ، من عقب عبد الله بن علي متضمنة اسماء أمراء الاسرة ومكان الشاعر ابن مقرب منهم .

(واين امرؤفي « زادبرد »محله واغنام سوديٍّ بعيدمذاهبه »[1]

فلم يستتم القول حتى اذا بـــه يسايره .. والدهر جم عجائبه !

فقال له : الآن التقينا فأرعدت فرائصه ، والجهل مُرٌ عواقبه !

أبو سنان محمد بن الفضل :

كان مقره في جزر أوال (٢) وكان معروفاً بالكرم ، وكان ابن مقرب معجباً به وبسياسته كثير الأفتخار به في شعره . ويعتبر مـن أبرز أمراء الدولة العيونية وأشدهم قوة ومنعة .

شكر بن علي بن عبد الله بن علي :

كان عالماً وشاعراً ، وكان شجاعاً وفارساً، وكان مشهوراً بالورع والعطف عن الرعية فألغى الضرائب والمكوس عنها . وقد توفـي بعد منتصف القرن السادس . وقد خرجت في عهده بعض البوادي عن الطاعة فأخمدها . وفي عهده وعهد أبيه حـدث بعض الصراع مع آل فضل بن عبد الله ــ وهم الفرع العيوني الآخر ــ وكـــان لهم الحكم على نواحي البحرين ، وقد استقل آل علي بن عبد الله بحكم الأحساء ونواحيه ، بينما اقتصر حكم آل فضل عـلى القطيف ونواحيه . ولكن سرعان ما استعاد الفضليون حكمهم لعموم البحرين .

ومع أن بن مقرب لم يكن على وفاق تام مع آل فضل، فان مدائحه لهم قد سبب زيادة التوتر أيضاً فيما بينه وبين بني عمه الآخرين ، ويدل على ذلك ما جاء في القصيدة التي يمدح ويعاتب فيها الأمير مقدماً بن ماجد ــ من آل فضل ــ والتي مطلعها : ــ

---

(١) كان الفضل كثير التنقل في مملكته ، ويروى انه كان يتجول مرة فـي الصحراء،في حماه بارض السودةفاذا ببدوى معه قطعة ابليرعاهافي الحمىواذا ببدوى آخر بجانبه يقول له : أما علمت ان هذا حمى الفضـل بن عبد الله ؟ .. فرد عليه :(واين امرء في زاد برد .. البيت) ؟ .. فما ان أتم البيت حتى خرج عليهما الفضل ، فانزعج الراعي .. ولكن الفضل اكتفى بتحذيره من العودة للمجيء ثانية .

(٢) هي المعروفة في عصرنا هذا باسم (البحرين) .

أأسكت عن مولى الورى أم أعاتبه وأهمل وعدي عنده أم أعاتبه ؟!

يقول فيها :ـ

فلولا هواكم ما شقيتُ ولا غدا يصك برجلي القيد من لا أشاغبه

ويؤخذ من هذا أن معظم العداء المستحكم بين ابن مقرب وبين حكام عهده ليس ناشئاً ـ اطلاقا ـ عن تطلعه للحكم ، كما يعتقد بعض الناس ، بل لكونه قد مدح آل فضل بن عبد الله الذين ظلوا في صراع مستمر مع بني عمهم الآخرين (١) .

هذا ولنا عودة ـ في مكان مناسب من هذا الكتاب ـ للحديث عن خصومة ابن مقرب مع بني عمه .

محمد بن أحمد أبي الحسين بن أبي سنان :

يقول ابن مقرب : ـ

---

(١) ولا يعنى النزاع على الحكم بين فرعى فضل وعلى ، أن الفرع العيونى الثالث ـ وهو فرع ضبار ـ الذى ينتمى اليه شاعرنا ابن مقرب ـ لا يعنى أن أحدا من أفراد هذا الفرع لم يتول الحكم فى البحرين ، بل لقد كان منه أمراء من أشهرهم الامير الحسن بن غرير بن ضبار ، وابناه المبارك (أبو شكر) ومقرب (ومقرب هذا هو الاب الثالث لشاعرنا كما هو معلوم) . ولقد وردت الاشادة بالامير أبى شكر وابيه الحسن فى شعر ابن مقرب عندما قال : ـ

منا المُسَوَّر تعظيماً ، ووالده كذاك كان ، فنحن السادة العظما !

فقد روى أن لابى شكر سوارين من ذهب فى رأس كل منهما درتان ثمينتان ، وكان أبوه الحسن كذلك ، ويذكر ابن مقرب أبا شكر أيضا مفتخرا به لابطاله بدعة (الماشوش) التى أوجدها القرامطة فى البحرين حين يقول :

منا الذى أبطل (الماشوش) وانقطعت
آثاره وانمحى فى الناس وانطمسا

و (الماشوش) ـ كما يروى ـ اجتماع سنوى يضم الرجال والنساء فى الليلة العاشرة من شهر محرم ، وفى ليلة عيد النيروز الفارسى ، وفى هذا الاجتماع توقد الشموع ، ويرقص الجميع حتى اذا ما اخذوا من الرقص غايتهم ، اطفأوا الاضواء واختلطوا مع بعضهم فى الظلام ، وقبض كل رجل على يد امرأة وواقعها دون اعتبار من تكون هى ، وقد قضى ابو شكر على هذه العادة قضاء مبرما وأماتها منذ ذلك الحين .

فيا خاطِبَ العلياء لا تحسبنها حديثَ العذارَى أنشاتها المغازلُ

تنحَّ ودعها هكذا غير صاغرٍ لِمَلْكٍ هُمامٍ ما اشتهت فهو فاعل!

أغرُّ عيونيّ كأن جبينه صحيفة سيف أخلصتها الصياقل

ناه الى العلياء «فضل» و«عبدل» و«أحمد» و«القرم» الهمام الُحلاحل[1]

كان هذا الأمير عالي الهمة ، صلب الارادة ، وقد اتسعت في عهده رقعة الامارة العيونية وامتدت سلطتها الى نجد وبادية الشام ، وعهد اليها الخليفة العباسي الناصر لدين الله بخفارة طريق الحجاج من بغداد حتى مكة . وقد خصص الخليفة للأمير العيوني ـ مقابل هذه المهمة ـ عوناً مادياً يدفعه له كل عام .. وقد قام الأمير محمد بن أبي الحسين بهذه المهمة خير قيام . وقام ـ أكثر من مرة ـ بتأديب بادية الشام الذين اعتدوا على قوافل الحاج فأوقع بهم ايقاعاً شديداً . كما غزا بني مالك على ماء الدجاني ـ في غرب الدهناء ـ لخروجهم على طاعته سنة ٦٠١ هـ .. ومن وصف ابن مقرب لهذه الوقعة قوله:ـ

ألم يجلب الجردَ العِتاقَ شوازباً من «الخطِّ» تتلوها المطايا المراسل[2]

الى أن أناخت «بالدجانيّ» بعدما براها السُّرى والاين فهي نواحل

فصبَّحن حياً لمُ تصبَّح حِلاله قديماً ولا رامت لقاه الجحافل

فكم قَرْمِ قومٍ غادرته مجدلا تقُطُّ شَواه الخامعات العواسل[3]

وكم مالِ نحامٍ من القوم اصبحت تُقسَّم غصباً جُلُّهُ والعقائل[4]

---

(١) يعنى بالقرم : أباسنان محمد بن الفضل .

(٢) الشازب : الخشن والضامر اليابس

(٣) تقط : تقطع ، الشوى : اليدان والرجلان والاطراف وقحف الرأس وما كان غير مقتل ، الخامعات : الضباع .

(٤) النحام : البخيل .

وكم عاتقٍ لم تترك الخدر ساعةً تُـقلِّب كفيها لـه وهي ثا كل !

وقد كان عهد محمد بن أبي الحسين عهد أمان واطمئـــنان ، نتيجة حزمه وضربه على أيدي المفسدين • وقد قتل الأمير محمد على يد أحد أصهاره وبمساعدة ابن عمه غرير بن شكر بن علي، وقد رثاه ابن مقرب بقصيدته التي مطلعها : ـ

ظننت حسودي حين غالت غوائله يريـع الى البقيا وتطوى حبائله

فضل بن محمد بن أبي الحسين

استعاد الملك من قتلة أبيه ، ولكن الضعف بدأ يدب فى جسـم الدولة ، وقد شعر ابن مقرب بهذا فأخذ يحذر وينصح ، ولكنـــه لم يجد آذاناً صاغية ، بل لقد قوبل بالاهانة والطرد ، ومـــن شعر ابن مقرب في ذلك قصيدته الدالية الشهيرة : ـ

تجافَ عن العتبى فما الذنب واحد وهب لصروف الدهر ما أنت واجدُ

وفيها ينعي حظه وزمانه ويفند أقوال الوشاة عنه ، ويستعطف (فضلا) ليعيد اليه حقه واعتباره •

علي بن ماجد بن محمد بن أبي الحسين :

تولى الحكم بعد عمه فضل ، وقد أعاد الى البحريـن شيئاً مـــن الاستقرار الا أن جماعة من رؤساء عبد القيس ثاروا عليه فخرج من البلاد ، وبايع الثوار مقدماً بن غرير بن الحسن بن شكر بـن علي، وكان مقدم هذا قد نشأ نشأة بدوية فلم يكن له دراية بشئون الحكم والسياسة ، فتكالب الطامعون على الدولة وعلـــى حواضر البحرين ، ففقدت الامارة العيونية هيبتها ، وقد أنب ابن مقرب زعيم الثوار لأنه السبب في تولية مقدم بقصيدة من عيون شعره•

ولكن أهل الحل والعقد عادوا فولوا عليهم محمداً ابن ماجد، وهو أخو علي ، أميراً للبحرين ، وقد مدحه بن مقرب وأثنى على كفاءتـه وهمته • غير أن محمداً بن مسعود العيوني قد قام بقتله وتولـى الحكم مكانه ، وهنا بدأت شمس الامارة العيونية تؤذن بالزوال ،

ولم يجيء عهد الأمير محمد بن مسعود ، حتـــى كانت جموع بني عقيل برئاسة بني عصفور منهم ، قد أعدوا العدة لانتزاع السلطة من العيونيين ، فحاصروا الاحساء واحرقوا نخيلها وزروعهـا ، فتلمس الأمير النصح من جلسائه ، الذين يكنون له وللعيونيين الكره في الباطن ، فنصحوه بالصلح وتسليم ما يطلبه الغزاة مـن القصور والمزارع والأموال الخاصة بالعيونيين ، وقد تم ذلك ..

وقد سخطت الأسرة العيونية على تصرفات هذا الأمـــير بابـعاده الأقارب وادنائه الأباعد ، الامر الذي كان سبباً في انهيار الدولة . وهكذا تقلص حكم العيونيين ، وما هي الا سنوات قليـلة سيطر بعدها بنو عصفور على شئون الحكم ، ثم استقلوا به ، وكان ذلك في العقد الرابع من القرن السابع اي بعد وفاة ابن مقرب بقليل، وكان الفضل بن محمد بن مسعود هو آخر أمرائها .

ولابن مقرب ، في أخريات أيامه قصيدة يندب فيها حظ قومـه ويندد بأبي القاسم الذي كان سبباً في انهيارهم لانصياعه لنصـح الحاقدين والموتورين . ومن قوله فيها:ـ

ياخيبة السعي ياخسرانَ صفقتنا	ياشُؤمَ حاضرنا الاشقى وبادينا !!
كنا نخاف انتقال الملك في مضر	فمرحباً بك يامِلك اليمانينا !
فلو تولت ملوك الروم مـافعلت	معشارَ ماصنعت اخواننا فينا !
كنا نضجُّ من الحرمان عنـدهمُ	ونطلب الجاه منهم والبساتينا
فاليوم نفرح أن يبقوا لموسرنـا	من ارث جديه سهماً من ثمانينا !!

وقد استمرت مدة الحكم العيوني على البحرين قرابة القرنين من الزمان . وكان الأمراء العيونيون يعترفـــون بسلطة بغـــداد الرمزية عليهم .

ولولا أن الدول ، كما يقول ابن خلدون ، تهرم وتقضي نحبها ، ولولا الخلاف الذي دب بين بعض أفراد الاسرة العيونية مما دعـا بعضاً من هؤلاء الى الاستعانة بالأباعد بدلا من الأقـارب وما جره ذلك عليهم من ويلات .. لولا كل ذلك لرأينا من أمر هذه الدولة

عجباً وأي عجب ، ولا غرو فالدولة عربية بحتة وعصبتها يمثلون كثرة ساحقة في البحرين ، والعرب كانوا يومها يعيشون زمناً تفتت فيه أوصال الخلافة وأحاطت ببلادهم فيه شتى الاخطار ، فكانوا يتطلعون الى ركن ركين يلجؤون اليه ٠

على أن هذا القول لا يمنعنا من الاعتراف بأن الطابع البدوى كان مسيطراً الى حد كبير على أجهزة هذه الدولة وعلى نظام الحكم فيها ٠

وقصيدة ابن مقرب الميمية التي قالها وهو ببغداد سنة ٦١٣ هـ والتى مطلعها : ــ

قم فاشدد العيس للترحال معتزماً وارم الفجاج فان الخطب قد فقما

سفر شامل ينطق بأنصع البراهين ، ويستخلص من خلالها الباحث شيئاً من فلسفة الحكم العيوني وأعمدته ومقوماته التي نهض عليها قرابة القرنين ٠ وسنعرض لبعض هذه القصيدة عند بحثنا لشعر الشاعر مع تحليل بعض مشتملاتها التاريخية ٠ (١)

خاتمة :

ظل آل عصفور يملكون تلك النواحي ، بعد العيونيين ، قرابة الستين عاماً ، ثم انتزع الملك منهم سعيد بن مغامس ، ثم انتزعه منه آل جروان ، وهم من بني عامر ، ثم اعقبهم آل زامل العقيلي

---

(١) وجدت ضمن مخطوطات المرحوم أحمد تيمور باشا بدار الكتب المصرية كتابا ترجم فيه مؤلفه لبعض الاعيان ومنهم ابن مقرب الشاعر ٠ وهذه النسخة بحجم فوق المتوسط وقد سقط أولها ، الامر الذى أضاع علينا اسم المؤلف ٠ والمؤلف ــ كما يبدو من كلامه ــ شيعى ٠ وهو من المتأخرين لانه ترجم لعائشة الباعونية وأشار لمعاصرته للشريف محمد بن أبى نمى المتوفى سنة ٩٩١ هـ ٠ وقد سمى شاعرنا بمحمد بن على بن المقرب ٠ والمهم ــ فى ذلك كله ــ انه اتى بسرد لتاريخ الدولة العيونية وحاول حصر أمرائها ولكنه ترك بعض السطور بيضاء مما أصبحت الفائدة معه غير كاملة ومما جعلنا نضرب صفحا عن الحديث عن بعض أمراء هذه الدولة وعن بعض جوانب من تاريخها ٠ حبذا لو عرفنا هذه النسخة وعرفنا ما سقط منها ! ٠

وأشهرهم أجود بن زامل حتى نهاية الثلث الاول من القرن العاشر وفي عهدهم استولى البرتغاليون على بعض موانيء الاحساء ، ثم طردوا منها ، وبعد ذلك انتقل الحكم الى آل مغامس . وفي عام ٩٦٣هـ استولى الاتراك العثمانيون على الاحساء ونواحيهـــا وفي عام ١٠٧٧ هـ ثار آل حميد ، وهم من بني خالد ، على الأتراك فحكموا الاحساء ونواحيها وفي غمرة الفتوحات السعودية الأولى جـــرى ضمها الى الدولـــة السعودية ، ثم استعادهـــا الأتراك ، وظلت يتجاذبها السعوديون والأتراك حتى احتلها الملـــك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ سنة ١٣٣١ هـ فاصبحت أحـــد أقاليم المملـــكة العربية السعودية الحديثة .

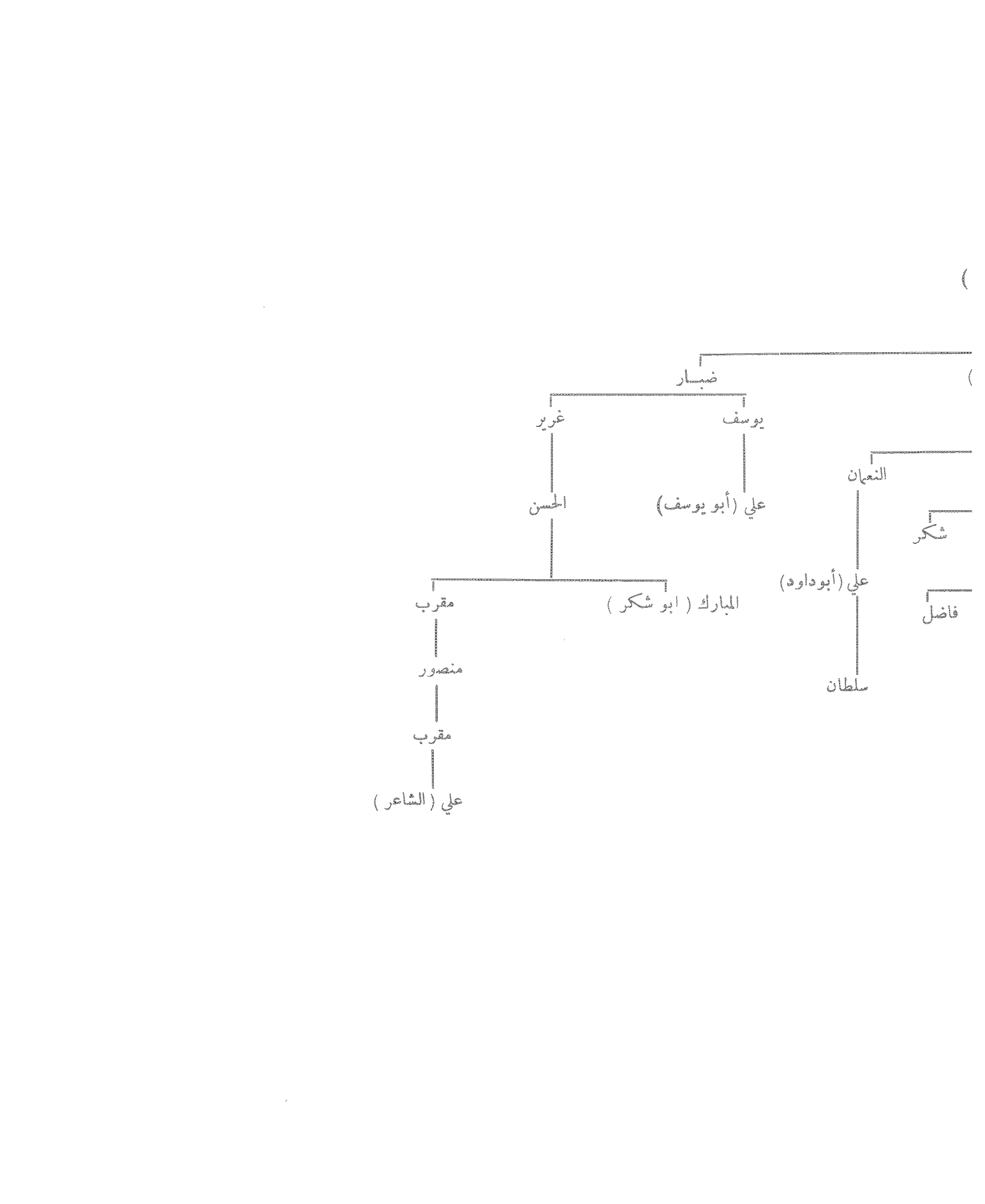
ضبـار
يوسف
غرير
علي (أبو يوسف)
الحسن
المبارك (ابو شكر)
مقرب
منصور
مقرب
علي (الشاعر)
النعمان
شكر
فاضل
علي (أبوداود)
سلطان

البيت العيوني ومكان الشاعر منه

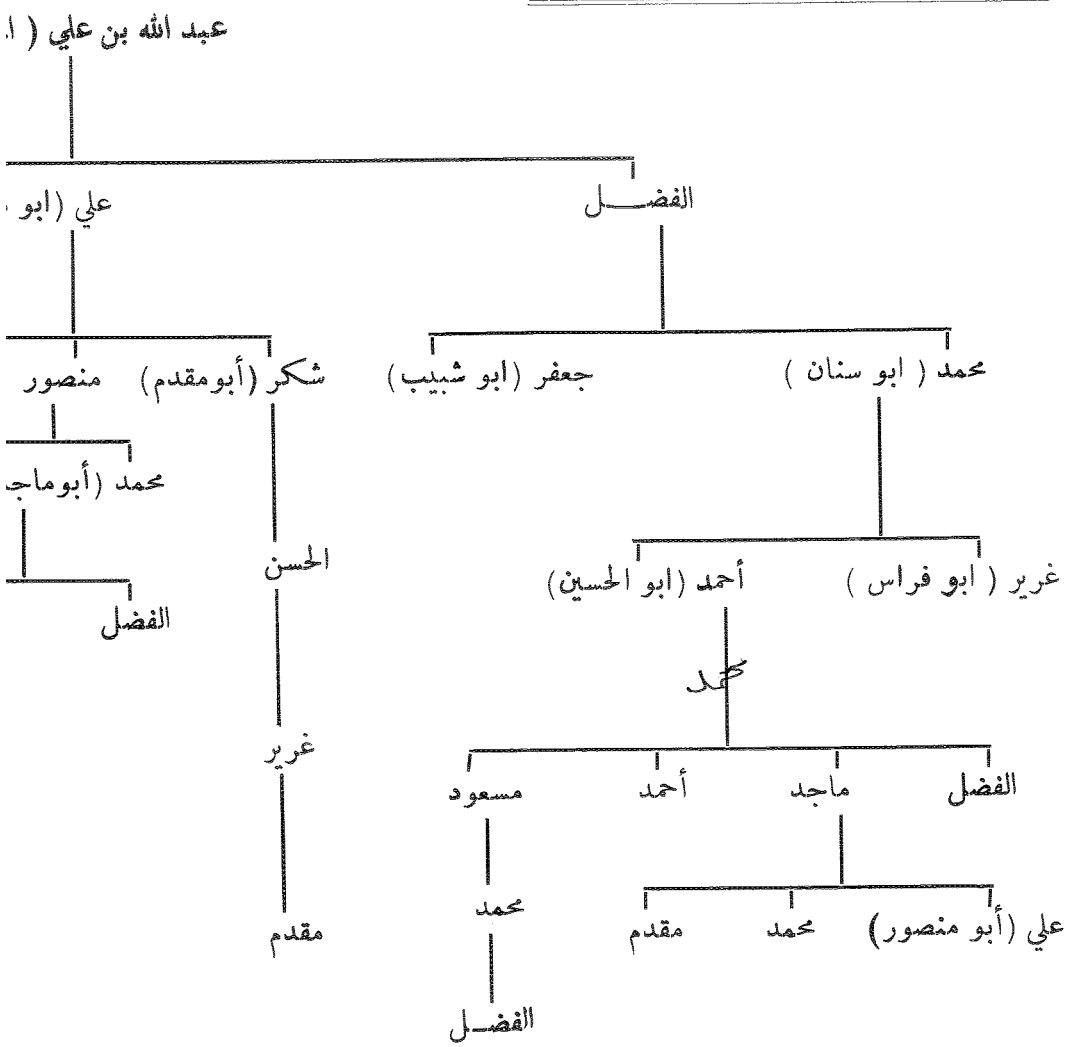

رحلاته...
واتصالاته بالأعيان

كانت حياة ابن مقرب أشبه بسلسلة من الرحلات داخل اقليم البحرين وخارجه ٠٠ فلماذا تعددت رحلاته هذه ؟٠٠

لعل ما ألحقه به بنو عمه من أذى واذلال ومضايقة وهوان ومطاردة ومصادرة لامواله وأملاكه ، لعل ذلك أهم الأسباب المباشرة في هذه التنقلات ، والا فانه يعز عليه فراق أهله ومغادرة دياره ٠٠ أو ليس هو القائل ؟ :

ولائمةٍ ، وأحزنهـا مسيرى ... وقد شرقتْ بأدمعها الغزار !
تقول وقد رأت عيسى ورحلي ... وصدِّى عن هوا ها وازورارى:
علىَ تجشمُ الأهوال فرداً ... بِغُبْرِ البيد أو لُجَجِ البحار؟
أمالاً ما تحاول أم علواً ... ـ هُدِيتَ! ـ ام اجتواءً للديار ؟
أتقنع بالعَلاة من العلالي ... بديلاً والمثار من الوثار ؟ (١)
فقلت لها غشاشا والمطايا ... الى التجليح حاضرة الحَضَار: (٢)
ذريني ـ لاأبالك ! ـ كيف يرضى ... بدار الهون ذو الحسب النضار؟!
فظلُّ السِّدر عند الذل أولى ... بأهل المجد من ظل السِّدار (٣)

والقائل ؟ :

لاتحسبوا بغضيَ الأوطان من مللٍ ... لابدّ للود والبغضاء من سبب :
قِلٌّ ،وذل،وخذلان،وضيم عدى ... مقام مثلي على هذا من العجب

---

(١) العلاة : حصاة يوضع عليها الاقط لتجفيفه ، والوثار : الفراش اللين ٠

(٢) غشاشا : أى على عجلة ، والتجليح : الاقدام والعزم

(٣) السدار : الغدر ٠

إذا الديـار تغشاك الهوان بها فخلها لضعيف العزم واغترب

والقائل ؟ :

فإن تك قومي الغُرُّ تاهت حلومُها بها واطاعت في الصديق الأعاديا
وأدنت ذوى الأغراض فيها وباعدت لأمرٍ ذوى ارحامها والمواليا
وأعطت زمام الأمر كل مُدَّفعٍ من العثر لاترضى به (الزنج) واليا[1]
وملّ قلاها من لها كان آمـلا ورجّى اذاها من لها كان راجيا
فلي سعة عن دارها حيث لاأرى بنات الكدادي يحتقرن المذاكيا[2]

والقائل ؟ :

سأرحل رحلةً تذر المطـــايا وشارفها الخُدَيَّة كاللهان[3]
فاما أن أعيش مصادَ عـــزٍّ لمجنيٍّ عليـــه او لجـــاني[4]
وإما أن أموت ومـــا عليها سوى من خافني او من رجاني!!

والقائل ؟ :

أقيما على حَرِّ المدَى أو ترحلا فلستُ براض منزل الهون منزلاً
ولا تسألاني أين ترمـــى ركائبي فما لكما ان تُسْلِماني وتســـألا
فقد سئمت نفسي المقام وشاقني ركوب الفيافي مجهـلاً ثم مجهـلاً
وكيف مقامي بين اوباش قرية ارى الرأس فيها من بها كان اسفلا

---

(١) المدفع : الفقير الذليل الحقير وقيل الذى لا أصل له، وعثر : أى كبا وتعس .
(٢) الكداد : فحل تنسب اليه الحمر ، والمذاكى : الجياد من الخيل .
(٣) الشارف : المسنة من الجمال ، والخدية : الضخمة ، واللهان : العرجون .
(٤) المصاد : أعالى الجبل .

والقائل ؟ :

ما أقبح الذل بالحر الكريم وما أسوا وأقبح منه العز باللكع !!

مالي أجمجمُ في صدري بلابلَهُ

ومنكب الارض ذو مناى ومتسع؟![1]

وكل أرض اذا يممتهـــا وطن وكل قوم اذا صاحبتهم شيعى ؟!

ولي من الفضل اسناه واشرفه وهمة جاوزت بي كل مرتفع ؟!

فمن هذه النماذج نستشف الدوافع الحقيقية لتنقلاته ، كما نستشف منها تعلقه بوطنه وحبه له ومدى صعوبة مغادرته له على نفسه وعلى قلبه ، ونستشف ثالثاً تفانيه في سبيل الحرية والعزة والكرامـــة .

وقد كانت أولى رحلاته ، خارج البحرين الى اليمامة ، رحـــل اليها صغيراً وقضى بها شطراً من أيام صباه ، وقد أشار الى ذلك في شعره ، الا أن هذه الرحلة لم تكن لها دوافع رحلاته بعد أن كبر، ولم يتصل فيها باحد من الأعيان والأمراء . أمـــا بعد أن كبـــر وأصبح ذا شأن ، فقد ارتحل صوب بلاد الرافديـــن ــ العراق ــ وذلك عندما اجتاح آل علي بن عبد الله العيوني ــ وهم بنو عمه ــ أمواله وصادروا أملاكه واستولوا عليها قسراً نتيجة وشى الحساد به . ولم يكتف هؤلاء بذلك بل ، سدوا عليه السبل وضيقوا عليه الخناق ثم أودعوه غياهب السجن مصفداً بالأغلال ، وقد ظـــل في السجن حيناً ، وبعد خروجه منه ــ مكلوم الفؤاد ، مكسور الخاطر ــ اتجه ناحية العراق، وكأن الأذن تسمعه وهو ينشد : ــ

وإذا قربـــك لم تنفعْ بـــه في حمى قومك ، فاذن ببعاد !

---

(١) الجمجمة : اخفاء الشيء فى الصدر ، والبلابل : جمع بلبال وهـــو البرحاء فى الصدر .

فوصل بغداد ، وأقام فيها بضعة أشهر ، لم يدنس خلالها سمعته بسؤل ، ولم يمتدح اثناءها أحداً ٠

وبعد هذه المدة ، عاد الى هجر ، حاضرة البحرين ، وذلك في سنة ٦٠٥ هـ ــ عاد يحدوه الأمل الوطيدفي نفسه بأن الفتنة قداندثرت وأن أوار الاحقاد قد انطفأ وأن صفحة من الحب والوئام قـــد فتحت لتحل محل صفحات البغضاء والخصام ، حيث أن السلطة قد انتقلت الى آل فضل بن عبد الله العيوني ــ وهم بنو عمه أيضاً ــ وكانوا على وفاق معه ومودة ٠

وحالما وطئت قدماه أرض الحساء ، قصد أميرها حينذاك محمد ابن ماجد آل فضل، وأنشد بين يديه قصيدته البائية التى مطلعها:

خذوا عن يمين المنحنى ايها الركب

لنسال ذاك الحيَّ : مافعل السرب ؟!

وفيها يستعطف الأمير محمداً ، وقد استهلها باللوعة والحنين ثم انتقل منهما الى النسيب ثم الى الفخر بقومه ، ومن الفخر انتقـل ــ بحسن براعة ــ الى مدح الأمير واستعطافه ورجاه بأن يرد اليـه أملاكه السليبة المغتصبة ، وقد جاء في ختامها قوله :ــ

فصُنْ حرَّ وجهي عن سؤال فانه عليَّ ولو عاش ابن زائدة ،صعبُ

وردَّ كثيراً من يسير تقت بـه فراخاً قداستولى على ربعها الجدبُ

ولقد وعده محمد بن ماجد خيراً ٠٠ وأردف الشـاعر هـــذه القصيدة بقصيدة أخرى ٠٠ ولكن انتظاره قد طـال بـــه الأمـد ومماطلة الامير قد امتدت بها الأيام ٠٠ بل لقد رجع الأمير ــفيما بعد ــ عن وعده ٠ وكل ذلك كان بتأثير الوشاة أيضاً، فقد أوهموا الأمير بأن مطالب ابن مقرب بعيدة الغور ، وما مطالبته برد أملاكه الا قليل من كثير، ونصحوا الأمير بعدم العطف عليه وبابعاده عنه، فانصاع لرأيهم وانقاد لمشورتهم ٠ وخاف ابن مقرب على نفسه ، فشد الرحيل على عجل ، وانتحى ناحية القطيف ، وهناك امتـدح أميرها فضل بن محمد العيوني بقصيدتين ، وأقام هناك مـــدة ،

ولكنه لم يظفر بمأرب أيضاً ، بل لقي الصدود والجفاء ، فعـــاد مرة أخرى الى الاحساء ولكنه تناسى أميرها محمداً بن ماجد اذ لم يراجعه في شيء ٠

ولما قتل ابو القاسم محمد بن مسعود العيوني ابن عمه محمد بن ماجد ، وصعد الى اريكة الحكم مكانه،امتدح ابن مقرب أبا القاسم بقصيدتين عصماوين ، كما امتدح ولده الفضل بقصيدتين أيضاً من عيون شعره ، غير أن الفضل هذا ، في أواخـــر أيامه ، بـات مستبداً غشوماً أخرق التصرف ، فعاث في أمـــلاك عشـــيرته ، وأقطعها للأباعد والغرباء ، فعاتبه ابن مقرب على هذه السياسة الجائرة عتاباً حاراً لاذعاً ٠

ثم رأى شاعرنا ان يترك البحرين ، فيـــنأى بعيداً عن هـذا المستبد ، وفعلا سافر الى العراق ــ للمرة الثانية ــ وما كاد يستقر به النوى في تلك الربوع ، حتى جاءته الأخبار بأن الأمير عليـــاً ابن ماجد ، أخا محمد ، قد ثار على قتلة أخيه ، وانه قد انتـزع السلطة في الاحساء٠٠ وثمةعاد ابن مقربمسرعاً الى بلده وامتدح أميرها الجديد بقصيدته التي مطلعها : ــ

صدت فجذت حبل وصلك زينب

تيها ، واعجبها الشباب المعجب

ولم يكن مدحه له ــ على ما قيل ــ سوى اتقاء شره ٠

وبعد أن هوى عرش هذا الأمير ، وتولى بعده الأمـــير مقدم بن غرير العيوني ــ وكان فتى خليعاً ــ سيء الطبع ، دنيء الخلق ــ شد شاعرنا رحله ، مرة ثالثة ، قاصداً العراق ، وكانت نيته أن يفد على الملك الأشرف بن العادل (١) ، صاحب الجزيرة الفراتيـــة ، فوصل الى مدينة الموصل سنة ٦١٨ هـ وبقي بها حيث سمـع أن الأشرف قد غادر بلاده عندما استصرخ داعي الجـــهاد نخوتـــه الاسلامية ، فهب ــ أي الأشرف ــ على عجل هو وأخوته وجيوشـــه

(١) هو موسى بن محمد العادل بن أبى بكر محمد بن أيوب ، من ملوك الدولة الايوبية بالشام ومصر ، حدثت له حروب مع الروم والافرنج ، أثنـاء الحملات الصليبية على العالم الاسلامى وكان مشهورا بالشجاعة والحزم والكرم موفقا فى ادارته وسياسته ومعاركه ، توفى سنة ٦٣٥ هـ ٠

لملاقاة الحملة الصليبية المسعورة على الديار الاسلامية وللاشتراك في صد هجماتها النكراء على هذه الديار .

قلت كان ابن مقرب يمني نفسه بلقاء الأشرف وبمدحه ، لأن هذا الملك كان من المعجبين بابن مقرب ، المولعين بشعره ، الحريصين على أن يمدحهم ، ولكن سوء الحظ أو حسنه حال دون ذلك اللقاء ، فقد واصل الأشرف سيره ونزل بأرض دمياط ، من بلاد مصر ، ليشد من عضد المجاهدين هنالك ، فبعدت الشقة بينهما . ولما وردت على ابن مقرب وهو بالموصل انباء انتصارات الملك الأشرف نظم قصيدة أشاد فيها ببطولة الأشرف وكفاحه ، وقد جاء فيها :

سل الكفر َمن اودى بدمياط ركنه ... وقصَّر أعلى فرعه وهو باسق !

يخبرك صدقاً أن موسى هو الذي ... بصارمه باقت عليه البوائق

وقد جاءت (الإفرنج) من كل وجهة ... كأَن تداعيها السيول الدوافق

كتائب ملء البر والبحر، من بدت ... له قال: ذا جنح من الليل غاسق !

تسير بسدّ من حديد لوانه ... هو السد لم يخرقه للوعد خارق

له لجب كادت مرارا لهوله ... تَقَطَّع بين المسلمين العلائق

فما كان الا أن أحسوا قدومه ... تحف به تلك البنود الخوافق

يهزُّ حساماً لم يكن من دمائها ... له صابح منهم بريٍّ وغابقُ

ومالوا لقذف المال في اليم بالضحى ... وبالليل ثارت في الرجال الحوائق

وازعجهم من ذاق للجرح بعدهم ... بأمسٍ وهل يستعذب الموت ذائق ؟!

فولوا ، فمنكب على أُم راسه ... لَدُنْ ذاك لم ينفق ، وآخر نافق !

ومستعصم بالبحر منه ، وعائذ ... باخلق تنبوعن صفاه المطارق

وفي الموصل اتصل بواليها بدر الدين لؤلؤ(١)ومدحه بقصيدته اللامية التي يقول في مستهلها : ــ

حُطُّوا الرحالَ فقد اودى بهـا الرحل
ما كُلِّفَتْ سيرهـــا خيل ولا ابلُ

بلغتموا الغاية القصوى فحسبكمُ هذا الـــذي بعلاه يُضرب المثل

وهى قصيدة طويلة ، تقرب أبياتها من السبعين بيتاً ، وقد كان لها صدى كبير في نفس الأمير الممدوح بدر الدين ، وهي تعتبر من روائع الشعر العربي • وقد أشار اليها الرحالة العربي الشهيـر ياقوت الحموي في معجمه (٢) ولكنها لم تقع منه موقعاً حسناً (٣) وكان قد اجتمع بابن مقرب في الموصل أثناء سفرته هذه • وعندما غادر ابن مقرب الموصل ودع أميرها بقصيدة من عيون شعره وهى التي مطلعها : ــ

انزل لتلثم ذا الصعيـــد مقبلا شرفا واجلالا لمولى ذا المـــلا !

ويقال ان ابن مقرب لم يمتدح احداً ـقبل بدر الدين ولا بعده ـ لطلب رفد • ولقد أجازه هذا الأمير وأكرم وفادته •

بيد أن من المؤسف أن يصدر عن شاعرنا ــ فيما بعد ــ هجـــاء مقذع لهذا الأمير ، فقد ضم ديوانه بيتين في هجاء بدر الدين وصفه فيهما بالرق واللؤم والدناءة على نحو ما فعل المتنبىء مع كافـــور الأخشيدي !•

---

(١) هو لؤلؤ بن عبد الله الاتابكى ، توفى سنة ٦٥٧ هـ ، كان مشهودا له بالنجدة والبأس وعلو الهمة والحرص على مصالح الرعية •

(٢) معجم البلدان : مادة (العيون) ج ٦ ص ٢٥٩

(٣) ونحن مع تقديرنا لياقوت واحترامنا لمباحثه وآرائه فى الجغرافية ، لا يمكن لنا أن نقره على رأيه فى شعر ابن مقرب ، فشعر ابن مقرب ــ وهـــذه القصيدة من عيونه ــ شعر جيد فى عمومه •

وفي احدى سفراته الى دار السلام ـ بغداد ـ التقى بالنقيب تاج الدين اسماعيل بن النقيب جعفر العلوي الحسني ، وحضر مجالسه ، فخلع عليه ابن النقيب ، فامتدحه الشاعر بقصيدة كان لها الأثر الكبير ، ومطلعها : ـ

تخفي الصبابةَ والالحاظ تبديها وتظهر الزهدَ بين الناس تمويها
وتستر الحبَّ كيما لا يقال صبا شيخا فتعلنه الانفاسُ تنويها

وفي بغداد أيضاً ، اتصل بالخليفة العباسي الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء (١) ، وذلك في عام ٦١٣ هـ ، وخصه بجليل العبارات ورفيع الخطاب . ومن أحسن ما قاله فيه قصيدته الميمية التي استهلها بقوله : ـ

أمارات سر الحب مالا يكتم وابين شيء مايجن المتيم !

وقصيدته الحائية التي مطلعها : ـ

أرتها المآقي ماتكنُّ الجوانح فَبُحْ ، فالمُعَنَّى بالصبابة بائح !

ويقول عند نهايتها مخاطباً الناصر لدين الله : ـ

إليك رمت بي عزمةٌ لم اجد لها سواك وهَمٌّ لم تسعه الجوانحُ
ومن كنت يابن المستضيء مآله رجاه وحاشاه محب وكاشحُ

واتصل في عاصمة العباسيين أيضاً بأحد رجالات الناصر لدين الله المبرزين ، وهو فخر الدين أبو عبد الله المحسن بن هبة الله الدوامي ، وذلك في سنة ٦١٤ هـ فمدحه أيضاً ، ومن قوله فيه : ـ

---

(١) ولد الناصر سنة ٥٥٣ هـ وبويع بالخلافة سنة ٥٧٥ هـ بعد وفاة والده وتوفي هو سنة ٦٢٢ هـ وعلى هذا فهو أطول خلفاء بني العباس مدة في الحكم. وكان معروفا بالدهاء والسياسة والتقلب .

بلاه (الامام) البرُّ حيناً وغَيْرَهُ فلم ير ازكى منه نفساً واشرفا

وولاه امر المسلمين فلم يَرُعْ تقياً ، ولاراعى لدنياه مسرفا

ولاخان (بيت المال) جهراً ولاخفا ولا زاغ عن نهج (الإمام) ولا هفا

والتقى فيها أيضاً ، في سنة ٦٢٣ هـ بعلم من أعلام الأدب والتدوين ، وهو ابن الشعار الموصلي صاحب (قلائد الجمان في شعراء الزمان) وانشد الكثير من شعره ، وقد كان ابن مقرب قوى الحفظ والذاكرة ولا يجد سآمة ولا ضجراً في اسماع شعره للآخرين كما يقول ابن الشعار .

ومر ، في احدى رحلاته ببلدة (واسط) واتصل بعاملها الأديب عميد الدين أحمد بن جعفر المعروف بابن الدبيثي ، فمدحه في أول الأمر ثم عاد فصب عليه جام غضبه بهجاء مر لاذع ! ..

وزار البصرة واتصل بأميرها شمس الدين باتكين (٢) فمدحه ولما أراد مغادرة البصرة ودعه بقصيدة يقول فيها : ـ

أما الفراق فتأتينا رواحله غداً ، ويحدجن للترحال بعد غد

والله يعلم أني لاأسرُّ به لكن اخاف شقاء الأهل والولد

وهل يكون شقاء في الزمان لهمْ كغيبتي عنهمُ مع ضيق ذات يدي

ألا ووجهك اشهى من وجوههم عندي ، وانهمُ الافلاذ من كبدي !

ولا يفوتنا أن نشير ـ في هذا الفصل ـ الى أن ابن مقرب كان على اتصال وثيق بعلماء واسط وبغداد وبفقهائهما ، أمثال العالم الشافعي محب الدين الواسطى المشهور بالورع والتدين وبتضلعه في الفقه والفرائض والحساب ، ولقد ورد له ثناء جم في شعر ابن مقرب ، وأمثال الأديب البغدادي ابن نقطة صاحب كتابي (التقييد) و (المستدرك على الاكمال) ولقد ذكر ابن نقطة ابن

---

(٢) هو باتكين بن عبد الله الرومى الناصرى ، ويكنى بأبى شجاع وبأبى المظفر . وكان عالما وشاعرا وقد توفى فى بغداد سنة ٦٤٠ هـ .

مقرب في (المستدرك) مثنياً عليه ، وأمثال العالم الحنبلي عبدالله ابن الحسين العكبري البغدادي الملقب بمحب الدين والمكني بأبي البقاء ، وهو نحوي فقيه حاسب فرضي لغوي مفسر محدث وصاحب تصانيف كثيرة منها (شرح المقامات الحريرية) و (اللباب في علل البناء والاعراب) و (التلخيص في الفرائض) وكان لواء أهل العربية والأدب والفرائض ببغداد ، وقد حكم لابن مقرب بالتفوق في الشعر ، وورد ذكره في شعر ابن مقرب مستشهداً بحكمه هذا ٠

وبهذا العرض الموجز السريع لرحلات الشاعر ومقابلاته ، ندرك مدى صلته بامراء عصره وأعيان زمانه في البحرين والعراق وندرك ـ ثانياً ـ أن لهذه الرحلات فضلا ايما فضل ، في تنمية ثقافته وتزويده برصيد من المعرفة ٠٠ والقارىء لديوانه يحس بهذا ويدركه ، كما يدرك مدى الفارق ـ وان لم يكن كبيراً ـ بين شعره الذي نظمه في ملاعب صباه وشعره الذي أنشده بعد عودته من هذه الرحلات ٠٠ ومن جهة ثالثة ندرك مدى ما وصل اليه التعاون الأدبي بين قطرين عربيين ، في عصر كانت تسوده دياجر الظلام والفوضى والاضطراب وتهدده غارات تتارية ضارية قادمة من اقاصي الشرق وهجمات صليبية حمقى زاحفة من ادغال اوروبا في الغرب ٠

مقطوعة من المعرفة

تختلف مفاهيم الثقافة من عصر لعصر ، كما تتغاير مقاييسها من من بيئة لأخرى ·· بل قد ينال فرع من فروع المعرفة نصيباً كبيراً من الأهمية والاهتمام عند أمة من الأمم بينما لا تقيم له أمة أخرى أى وزن ·· فمفهوم الثقافة نسبي تحده أبعاد معينة ·

ولكن ·· مهما تكن ألوان الثقافة ، أو مهما يكن التفاوت في تقدير مدلولاتها ، فان ماهيتها واحدة ، وهي بالنسبة لاكتمال الشخصية وبناء مقوماتها أمر جذري وضروري ·

والشاعر ، أي شاعر ، لا يمتلك ناصية البيان ولا ينقاد له عصي الشعر فيصبح كأنه يغترف من بحر ، حتى تتوفر له الأسباب وتصبح ملء يديه الامكانيات ، ونعني بذلك ارواء ظمئه من معين الثقافة الثر واشباع نهمه من مائدة العلم وما تحتويه من أطايب المنعم ·

والحق ، ان الثقافة والمعرفة هما من المستلزمات الأولى لكل شاعر وأديب ·· ومن خلا وطابه من زادهما بدا شعره باهتا قفراً من كل معنى ، لا يجد فيه القارىء أي لذة أو متعة ولا تحس له نفسه بأي اطمئنان أو قبول ·

وفحول الشعراء في كل عصر ومكان ، لا يكونون غالباً الا ممن ضربوا بسهام وافرة في الثقافة ، فعبوا من نميرها وكرعوا من حياضها ، حتى اذا ما أنسوا القدرة على قول الشعر وقرضه سالت روائعه على أسلات ألسنتهم شعراً سائغاً طرياً تستهويك الفاظه وأساليبه وتأخذ بتلابيبك اخيلته ومعانيه وصوره ·

ولما ضعف حظ العرب من العلم والمعرفة ، في العصور الوسطى ، تبع ذلك افلاس شنيع في الشعر ، وندرة قصوى في الشعراء ، فانقضت دولة للشعر كانت قائمة ، وتهدمت صروح من البيان كان العلم لها خير سند · وكأي من عرش من عروش الحكمة تهاوى فبات في قاع سحيق مدلهم ·!

ولعلنا ، بهذا الكلام ، نكون قد وجدنا الجادة للبحث في ثقافة شاعرنا ابن مقرب وفي حظه من المعرفة · والقارىء المادي ، بله

الواعي البصير الملم بشاعرية هذا الشاعر ، يدرك تمام الادراك أن وراء هذه الشاعرية تكمن شخصية فذة لها من غزارة المادة وسعة الاطلاع وجودة التحصيل وعمق الفهم واصالة التفكير ، ما يستحق الدرس والتأمل ..

وحقيقة واضحة ، هي أن سعة الأفق الثقافي لدى شاعرنا تكاد تكون أبرز ظاهرة يلمسها الدارس لشعره ويلحظها الواقف على ديوانه .

وليس من شك أن ابن مقرب لم يعتبر شاعراً ، أو لم يعتبر نفسه هو شاعراً ، الا بعد دراسة مستفيضة لشعر الأقدمين وكثرة ترداد نظر فيما خلفه أولو العقول المجربة والأفكار النيرة أي بعد ممارسة وتقليب لكثير من الأساليب والأخيلة والمعاني .. وكذلك بعد اطلاع واف على أخبار العرب وأيامهم ودراسة لأنسابهم ومعرفة بأحكام الشريعة في شتى شئون الدنيا والأخرى

وبعبارة أشمل لم يقرض ابن مقرب شعراً الا بعد أن اكتملت ثقافته ونمت موهبته وبعد أن أصبح مهيئاً لعرض افكاره واعلانها على الملأ .

وشعره الذي بين أيدينا ـ ونؤكد سلفاً أنه ليس كل شعره ـ لا تختلف قصائده ومقطعاته بعضها عن بعض ـ عموما ـ اختلافا يوجب الانتباه ولفت النظر ، بل هناك شبه كبيرفي الأساليب والمعاني والصياغة الفنية ، فالمستوى الشاعري فيها متقارب للغاية ، وهذا راجع ـ حسب ظني ـ الى أن الشاعر لم يتجه الى الشعر اتجاهاً كاملا الا بعد أن نال كفليه من الثقافة العامة ، أو أنه لم يكن راضياً على شعر صباه فلم يضمه الى شعره .

بقي ـ وهذا بيت القصيد ـ أن نتساءل عن أبرز ألوان المعرفة رأميز معالمها في شعره وأيها كان له فيها القدح المعلى ؟..

يجيبنا على هذا التساؤل ديوان الشاعر باجابة لا تخلوا من التبسط في بعض المواضع ، ولكننا لن نمضي بعيدين مع هذه الاجابة بل سنتوخى الاقتضاب ما أمكن ..

فأول ظاهرة ثقافية يلمحها الباحث في شعره ، تمكنه القوى من قواعد اللغة العربية وتضلعه المتين في شتى فروع هذه اللغة ، حتى

لتخاله ــ في طول رشائه وعمق قاموسه وفي بعد مأخذه وأصالة مورده ــ قد أوني الاقليد في اللغة ، وحتى لتخاله أيضاً ــ في محافظته على القديم وولعه بالجديد في زمنه ــ قد جمع بين عقليتين • وأسلوب السهل الممتنع ، لهذا ، شائع بين ثنايا شعره •

ولتضلع ابن مقرب من علوم العربية وفنونها ، حكم له لواء أهل العربية وامامهم في زمنه الشيخ العلامة محب الدين ابو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري البغدادي الحنبلي ، وقد أشار الشاعر الى ذلك في احدى قصائده حين قال في معرض العتب لمن هونوا شأنه من أفراد عشيرته : ــ

لقد تقدمتُ سبقا من تقدمنـــي سناً وادرك شاوي فارطَ الأُوَلِ[1]

بذاك قدوة اهل العـــلم قاطبةً ابو البقاء محب الدين يشهـد لي

والمعنى : أنني بلغت شأوا بعيداً في الشعر واللغة فقت به أقراني وكان قد حكم له أبو البقاء على جميع من تقدمه من الشعراء بحضور نفر من ذوي العلم والأدب •

وما دمنا نعرف أن أبا البقاء هذا امام من أئمة اللغة ، فانه كغيره من اللغويين ، لا ينظر الى الشعر ولا يقايسه ويفاضل بينه الا من زاوية خاصة ، فسمو الشاعر أو هبوطه عند اللغويين متوقفان على اجادته لطرائق العربية ولاحاطته بقوانينها أو على افلاسه من تلك الاجادة والاحاطة • واذن فهذه شهادة عظيمة بتمكن ابن مقرب من قواعد اللغة وجمعه لشواردها والمامه بأطرافها •

وأيضاً فقد أورد ابن الشعار الموصلي (٢) بأن أئمة العراق من ذوي العلم والأدب قد أقروا لابن مقرب بالحذق في الشعر والأدب •

هذه ناحية من نواحي المعرفة لدى ابن مقرب •

اما الجانب الثقافي الآخر ، فهو سعة اطلاعه في حوادث التاريخ وأيام الماضين ، والمامه بكثير من عبر الأيام ومصائر الامم •

---

(١) الشأو : المدى والغاية • فارط الاول : بعيدهم •
٢) كتاب قلائد الجمان في شعراء الزمان •

وفي التاريخ ؛ يجد الشاعر ـ عادة ـ منهله العذب الذي لا ينضب، كما يجد المائدة الدسمة التي يستمد منها العناصر الحيوية اللازمة لشعره ٠٠ ومتى ما توفر هذا الجانب لشاعر ما طفقت شاعريته تمرح في ظلاله وتسرح ، واتخذ منه الشاعر أغاريد حافزة تنبه القلوب الوسنى وتوقظ العقول الناعسة ، وكأي من شاعر وجد في التاريخ وفي سير الغابرين ضالته وانشودته ، فتغنى بأمجاد أسلافه الأثيلة معتزا ومفتخراً ، أو دمعت مقلتاه حسرة وكمداً لما أصاب أولئك الأسلاف من عسف وفجيعة أو احتلال دخيل قاهر ٠٠

فالتاريخ موطن العبر ، ومسرح الذكريات ، وشريط الاثارات ، وهو قبس للفخر والحماسة وللاستنهاض والعمل ، وكل هذه من أهم اقانيم الشاعرية الحقة ٠

ولقد كان حظ ابن مقرب من هذا العلم سحا غدقاً ، فقد درس أيام العرب وتاريخ الاسلام دراسة وافية شاملة، وأحاط بأطراف وصور شتى من ماضي الجزيرة العربية قبل الاسلام وبعده ، وألم بكثير من أخبار الشعوب المجاورة للعرب من فرس وروم ، وله ضلع واف في معرفة الكثير من مواقف رجالات العرب وأفذاذهم وما شهروا به من مآثر جمة ومفاخر عطرة يهتز لها الوجدان ويميس معها عطف الزمن ٠

وكانت له معرفة خاصة بتاريخ الجزء الشرقي من بلاد العرب ـ أي البحرين وما جاورها ـ والدول التي تعاقبت الحكم فيه ٠ أما تاريخ الدولة العيونية ـ وهو ابن بجدتها ـ فلم تخف عليه منه أية خافية ، دقيقة كانت أم جليلة ٠

وأكسبته تنقلاته داخل البحرين ورحلاته خارجها ـ الى اليمامة والعراق وديار بكر ـ علماً الى علم وثقافة الى ثقافة ٠ ٠فلقد عرف ـ عن كثب ـ شيئاً من عادات الآخرين ، وأساليب حياتهم وسبل معاشهم ٠ وكان له ـ أيضاً ـ من هذه التنقلات بعض المعرفة بتقويم البلدان ٠

وأفاد من رحلاته الى بغداد وواسط كثيراً حيث اجتمع بعدد من فقهائهما وأدبائهما ، وناقشهم في بعض المسائل وناظرهم فيها ، وأخذ عنهم الكثير من الافادات في الدين واللغة والأدب ولو انه قد نال القسط الأوفى من ثقافته في وطنه البحرين ٠

هذا ؛ واذا لم يكن لنا من بد في أن نلخص القول في حظ شاعرنا من المعرفة ، فان المسحة العربية والاسلامية كانت أميـز الألوان الثقافية لديه • والعرب لم يحفلوا بنوع من الثقافة مثلما حفلوا بهذا اللون ، فهم لا يقيسون ثقافة العالم الا بمقدار ما يحصل عليه من علوم العقيدة والفقه والحديث وما اليها ، ولا يقيسون ثقافـة الأديب الا بمقدار حظه من علوم اللسان واللغة والشعر •

فان بن مقرب ـ على هذا الاعتبار ـ أخذ من مفهوم الثقافة لدى العرب أطرافاً شتى، فكان العالم الفاهم قبل أن يكون الأديب الشاعر •

الحرمان وأثره في شعره

ناحية بارزة لا يستطيع الباحث في حياة ابن مقرب وشعره اغفالها أو تناسيها بحال من الأحوال .. تلك هي أثر حياة المنع والحرمان في تكييف شاعرية شاعرنا وفي الأخذ باتجاهه ..

وهذا الأثر ، في الحقيقة ، أثر عميق المدى ، بعيد الغور ، واضح المعالم ، بين السمات ، ولا تكاد تقرأ له قصيدة واحدة دون ان تشم منها رائحة الحرمان وأرزاء الدهر تتصاعد من بين الأحرف وخلال الكلمات ، ودون ان تسمع أنين البخس والتعس يعلو عبر الأجواء في نغمات لاهثة ناصبة ..!

والحرمان دائماً ، أصل في تدفق الشعر ، وأقنوم في اتقاد الشاعرية ، وهو الزناد الذي يقدح به الشعراء شرارة القريض ، فيضرمون بها الحياة الراكدة الرتيبة ، ويحيلونها لهباً ..

وان شاعراً بات خاوي الوفاض ، خالي الوطاب ، لم يفترس الحرمان حياته ولم يشوها على جمر غضاه .. مثل هذا الشاعر يكتنف شعره ، عادة ، البرود والفتور والدعة والخمول ، وتغمر أناشيده المعاني السلبية ، أو قل انه ليس بشاعر ..!

ولولا الحرمان ، ولولا النكبات ، لما كان هناك ، في عالم الشعر الحي ، طرفة بن العبد أو قيس بن الملوح أو أبو فراس الحمداني أو المتنبيء أو ابن مقرب .. مثلا .!

لولا الحرمان ـ ولا فرق بين ضروبه وألوانه ـ لما وجد هذا « الطراز » من الشعراء ولظلت الشاعرية العربية قفراً أجادب لا روح فيها ولا نفس .

وبحسب الحرمان أنه يلهب المشاعر ، ويغذي العواطف ، ويهيج الأفكار ، وينطق الألسنة بلغة الحياة الصريحة ، ويكمل من عقل الشاعر ما اعتراه من نقص نتيجة عدم ممارسته لآلام الحياة وأرزائها . وبحسب الحرمان أيضاً أن كثيراً من أغراض الشعر تصدر ، في ينبوعها ، منه .

ولقد نال الحرمان من شاعرنا ، فاكتوى من حر لظاه ، وعانى من قسوة ويلاته .

اسمعه يقول ـ في مطلع احدى قصائده ـ وهو يصف صراعه مع الحرمان : ـ

كم أُرجع الزفرات في احشائي ! والى مَ في دار الهوان ثوائي ؟!
لم يبق مني في مساورة الهوى والضيم غير حشاشة وذماء !
في دار قوم لو رآهم (مالك) وهمُ باحسن منظر ورواء ـ
لرثى لاهل النار كيف يراهمُ وهمُ لهمْ فيها من القرناء
ثكلتهم الاعداء إن حياتهم غم الصديق وفرحة الاعداء !
اموالهم لذوى العداوة نهبة وعن المكارم في يد الجوزاء !

ويمضي على هذا المنوال ، حتى تبلغ به الحسرة مبلغها ، فيلفظها صرخات مدوية ، نادبة مستنجدة ، ولكنها تظل يائسة اذ لا تجد صدى أو ترجيعا من أحد : ـ

ياللرجال !.. ألافتى ذو نجدة يحمي بمنصله على العلياء ؟!
بالله ، أقسم ، لو دعوت بندبتي حيا للبّى دعوتي وندائي . .
لكنني ناديت موتى لم تزل اشباحهم تمشي مع الاحياء !
الفوا الهوان فلو تناءى عنهمُ لسعوا لبغيته الى (صنعاء) !

وهذا اللون من الحرمان ـ على ما نعتقد ـ جماعي عام ، ذلك أن تقلص ظل العصاميين الأفذاذ من البلد ، يعد (حرماناً) من مجموعة قيم وأخلاق انسانية مثلى . . وكم هي نعمة كبرى لو توفر العصاميون الذين يقدرون مسؤولية الواجب بين ظهراني الشاعر ، ليعطوا الحياة حقها وليهضموا مفاهيمها على أتم وجه .

ولا أجد بي مزيد وطر ، لأقول أكثر من هذا ، فان حرمان البحرين وقاطنيها يومذاك ، قد يفوق حرمان ابن مقرب نفسه .

ومن أجل رجعه الزفرات ، في سبيل المصلحة العامة الشاملة ، ثـار عليه ابناء الأعمـام ، ثـورة صورها الشـاعر صـوراً شتى وعللها في دخيلة نفسه بعدة اعتبارات.. الامر الذي زاد من شجونه وعجل برحيله الى العراق ليبقى بعيداً عن مراجل الكاشحين وهـي تغلي وقلوب الحاسدين وهي تفور ، فكان ان تضاعـف حرمـان الشاعر وأصبح اكثر تعساً ونكداً عن ذي قبل .. وحقا ان الرحيل من أرض هجر البركانية ، يومئذ ، كان أمراً لا بد منه : ـ

يقول الشاعر : ـ

ياصاح !..قد ازف الرحيل فقربا	للسير كل شملـة وجنـاء !
ماعذرحر في المقـام ببلـدةٍ	آسادها ضرب من المعزاء !؟
لابالرحال ولا الجوا ميس اقتدوا	ـ عُدِمُوا الحياة! ـ ولابطير الماء!
فالبر اوسـع ، والمناهل جمة	والبعد مقترب عـلى الانضاء
وبجانب (الزوراء) لي مستوطن	ـ ان شئتُ ـ أو «بالموصل الحدباء»
لي، حيث لا ألقى الحسود مكاشحا	تغلي مراجلـه على الخلطاء
وبحيث اخوان الصفاء يضمها	حسن الوفـاء وشيمة الادبـاء

ويفصح الشاعر أكثر في قصيدة أخرى حينما يأخذ في شرح مكانته من قومه وشرح ما وراء رحلته هذه من حقيقة ، فيقول في كـلام تكسوه الحكمة والاتزان : ـ

وان ابتعادي عنهـمُ وتغربي	تَرَامَى بي الامواج والحزن والسهب
لغير اختيار كان مني ولا قـلى	وانهـمُ لَلْعين والانـف والقلب
ولكنها الايام تبعـد تـارة	وتدني ولابعد يدوم ولاقرب !

ثم يقول بعد أبيات اربعة : ـ

ولي فيهمُ سيف متى ما انتضيته

على الدهر أضحى وهو من خيفةٍ كلب

على ان حد السيف قد ربما نبا

وفُلَّ وهـــذا لايُفَلّ ولاينبو

انه اعتراف ووفاء لحق القرابة ٠٠ وهكذا يتصارع الحرمان في نفسه مع العاطفة ، فيسلم الشاعر المقود لابن عمه ،سليل الدوحة العيونية ، حباً في لم الشمل ووأد الاحن ، فلقد فضـــل أن يعيش بحرمانه وجحيمه على أن ينازع الارحام ويخاصم العشيرة ٠

فهو قد ذاق من ظلم قرابتـــه ومعاكستهم لـــه ، فاكتفى في مناهضته لهم بالعتب الرقيق والنصح الهادي ، ولما رأى ان لا فائدة ترجى ، هجر مسقط رأسه ومربع صباه ضارباً في أرض الله ٠٠ وهكذا فضل ترابط الاسرة والتئامها على اراقـــة الدماء فيما بينها أمام المطامح الفردية ، فكان موقفه هذا مثلا رائعاً في الوحدة العائلية والوطنية وفي تناسي الأحقاد والحزازات ٠ !

★ ★ ★

ومني (ابن مقرب) بفئة من ذوي النفوس الصغيرة والصداقات الرخيصة ، فحملته طيبة قلبه على الاخلاص لهـــم واصفاء المودة معهم ٠٠ ولم يدر بخلده أن هؤلاء سيكشفهم مجهر الحياة صغاراً في عقولهم وأقزاماً في أفكارهم ، وانهم ممن لا يفهمون عن الصداقة الا انها جسر الى تحقيق مطالبهم الخاصة واشباع رغباتهم في الحياة ٠٠ فسرعان ما ظهروا على حقيقتهم أناساً أنانيين نفعيين ، وأدرك الشاعر ــ ثمة ــ خطأ ظنه وخطل رأيه فيهم ، كمـــا أدرك مدى الحرمان الذي مني به في عالم الصداقة : ــ

ولقد حلبتُ الدهرَ أشطرنا به وعرفت مايبقـــى ومايتقلب
فاذا مودة كل مـــن أصفيته ودّي ، لدى الحاجات برق خُلَّب

ومثل هذا الحرمان ، ليس بالأمر السهل ، اذ هو مما يولد الكثير من الخواطر والأحاسيس التي تأخذ من وقت المحروم ،وتحملـــه في كثير من الأحيان على سوء الظن بالناس ودنياهم • وأصحاب ابن مقرب هؤلاء لهم قرناؤهم وأندادهم في كل عصر وفي كل مكان •• وفعلتهم هذه هي شنشنة الكثيرين منذ بدء الخليقة •• اولئك الذين يولون وجوههم شطر من يعتقدون فيه النفع والجدوى فاذا عبست الدنيا يوماً في وجهه ولوا هاربين من أمامه خشية ان يسألهم العون، ولأنهم ما عادوا يرون في صاحبهم هذا بصيص أمل في منفعة • !

على أن هناك لوناً آخر من الحرمان ، اتصل بحياة الشاعر اتصالا وثيقا وأخذ عليه تفكيره أعواما عدة • وهذا الحرمان هو ما تهمنا دراسته أكثر ، في هذا الفصل ، ذلك أن أثر هذا الضرب كان أعمق وأشد من سواه في تكييف شاعرية الشاعر ووسمه بعلامات فارقـة ان جاز التعبير !••

قلنا ، من قبل ، أن ابن مقرب من أسرة عريقة المحتـد والحسب والمجد والسيادة وانها ترجع في أصولها الى (عبد القيس) ــ مـن ربيعة ــ وقد كان لهذه الأسرة الفضل الكبير في تحرير البحرين من نير القرامطة ، وقد توالى على أريكة الحكم عدد غير قليل مـن أفراد هذه الأسرة ، وكان من الممكن أن تنتظم القائمة ، قائمة الحكم،اسم أبي الحسن علي بن مقرب العيوني ، فيصبح اميراً للبحرين ، ولكن الحظ رمى به بعيداً عن ذلك ، فتخطته الامارة ــ او هكذا اعتقـد أو حسب أبناء عمه أنه يعتقد ــ الى ابناء العم ، هـــؤلاء الذيـن أوجسوا منه خيفة المطالبة بشيء من الحق في الامارة ، وزاد الأمر تعقيداً والطين بلة أن أفسح هؤلاء صدورهـم لقـيـل الوشـــاة والدساسين ، وفي هذا المجال يقول عن قرابته : ــ

أطاعت مقالات الاعادي وغرّها تملقها في لفظها واختلابهُـــا

فأنحت على ارحامها بشفارها واوهن عظمَ الاقربين اصطلابُها

وكانت النتيجة أن عمل ابناء العم على محادتـــه ومطاردته ٠٠ فكانت الخطوة الاولى أن صادروا أمواله وأملاكه ، ثم اتبعوا ذلك بأن زجوه في غياهب السجن ٠٠ وبعد لأي أخلوا سبيله ولكنهم بثوا عيونهم من حوله فحدوا من تصرفاته ، ولم يجد أمامه من مناص أو وسيلة للخلاص غير الضرب في مناكب الأرض والهجرة من « هجر » ساخطاً غاضباً : ـــ

لحى الله دهراً الجأتني صروفـه

الى حيث يُلغى حق مثلي ويهمل

وعاقب قومي الغرَّ شرَّ عقوبة

وخصص من يَنْمِي (عليٌّ) و (عبدلُ) !

فلولاهمُ ـ والله يعلم ذلـــكم ـ

لما فاه لي في الناس بالمـــدح مقول

ولا حُط (بالفيحاء) رحلي ولا رأت

قرى ظاهر (الزوراء) شخصي و (اربل)

وقد كان لي من ارث جدي ووالدى

غنى فيه للراجي النَّـــدَى متأمل

ولما سئل ، وهو خارج البحرين ، عن سبب عدمه وضياع ماله ، عز عليه أن يقول الحقيقة خشية أن تلحق السمعة السيئة ببني عمه ، ولكنه أضطر أمام الألحاح أن يقول الواقع ، وما على من يقـــول الحقيقة من حرج وما عليه من ذنب : ـــ

وجاءت القوم افواجـاً لتسألني فصادفوا منطقي للفضل عنوانا
فان أُجمجم واخفي عنهمُ خبرى حميةً ، جلبت هونـاً ونقصانا
وإن أقل كنت ذا مـالٍ فمزقه صرف من الدهر ماينفك يلحانا
يقـال لي : كل تفريق له سبب يجري فأورد علينا الأمر والشانا
فإن أقل : سيدا قومي هما سبب لذاك ، لم أر هذا القول إحسانا
هذا ـ لعمري ـ اطاع الكاشحين ولم يعطف واصغى الى الواشين اذعانا
ومنَّ بعد ذهاب المال عن عرض يُفتِّـر النفس كي ندعوه منانا !
وجئت هـذا أُرجِّى عنده أملا نزراً فصادف (اعراضا) و(حرمانا) !
وفي مودتـــه لاقيت كل أذى واجتيح وفري بغضا لي وشنآنا !
وكل ذى غصة بالماء يدفعهـــا فكيف يصنع من بالمـاء غصانا !؟
وما على من يقول الصدق من حرج وليس تلزمه ذنبـــاً ولا ذانا

لقد كان ابن مقرب يعيش حرمانا في المـــال وفي علاقـــات الود وفي حياة الاستقرار ·· حرمان أحاط بالشـاعر من شتى جوانب حياته ، فقلب أوضاع دنياه سودا حالكات ، بعد أن كانت باصرتاه تريان الدنيا بمنظار الفأل والطمأنينة والابتسام · لقـد أصبحت حياته جحيماً لا يطاق ، فلم يعد له اعتباره الاجتماعي المعهود ، ولم يعد يرجى ولا يخشى :ـ

طال لبثي بين مولىً خـــاذلٍ ومعـــادٍ وصديقٍ كالمعادي
تمضـــغ الأيام لحمـــي عبثـا ليس بعد المضـغ غير الازدراد !
لاحياتي تمنـــع الجـــار ولا نائلي يُرجى ، ولا يُخشى عنادي

والشعر مرآة الشعور طبعاً ·· فانعكست احاسيس الشاعر وما

يجول في مخيلته من هواجس على صفحة شعره صوراً حية صادقة ..
وقد الهمت هذه الاحداث شاعرنا الحكمة ، كما الهمته غيرها ، فجرت على أسلات لسانه وامتزجت مع سلسبيل قصيده .. وكثيرا ما كان يجمع الحكمتين في بيت واحد ..

والحق ان الحكمة عندما تكون وليدة المنع والحرمان .. تأخذ طابعاً انسانياً فريداً ، وتحمل بين ثناياها شتيتاً من المعاني الفرعية التي تحتاج الى مزيد من النظر والتأمل .

خذ ، مثلا ، قوله :ـ

ان المنية ـ فاعلمْ ـ عند ذى حسب ولا الدنية هان الأمر أو عظما
من سالم الناس لم تسلم مقاتلـه منهم ، ومن عاش فيهم بالأذى سلما
لايقبل الضيم الا عاجز ضرع اذا رأى الشر يغلي قدره وجما
وذو الدناءة لو مزقت جلدتـه بشفرة الضيم لم يحسس لها ألما !
ومن رأى الضيم عـاراً لم تمرّ به شرارة منه الا خالهـا أطمـا !

لا أجد بي دافعاً لأزيد القول قولا ، بأن هذه الحكم كانت صدى لما يعتلج في نفس الشاعر من تعس وحرمان وما تتأجج به حشاياه من ألم وحسرة نتيجة لذلك .

ويحلو له ، وقد أكل منه الحرمان وشرب ، أن يتخذ من النصـح والعتاب معا وسيلة لحل العقد ، عقد الحرمان ،من نفسه .. فهو يقول ، مثلا ، مخاطباً الأمير علياً بن ماجد : ـ

اعطف على أحياء قومك واحتمل ذنب المسيء وكافِ بالإحسـان
واعمل لما يحيي العشيرة واطرح قول الوشـاة وكل شيء فانِ
واعلم بأن النسر يسقط ريشه حينـا فيقعده عن الطيران
والصعو ينهضه وفور جناحـه حتى يجوز مواكـر الغربـان

والدوحة القنواء أشـــين ماترى معضودة وتزيـن بالاغصـــان

قول حق صادق .. هو عصير واقعه الذى يعانى منه ولا شـك .. ولو أن بنى عمه الذين تواطأوا على اقصائه عن المناصب ، وعلى مصادرة ممتلكاته ومراقبته في حركاته وسكناته ـ لو أنهم اخـذوا بصرخات الشاعر ولو أنهم كانوا عادلين مع أنفسهم ، لما عانى مـن الحرمان ولما ذاق ويلات الكبت والاضطهاد ولذبلت نغمة الحرمان واختنقت فى شعره ، ولخسرت دولة الشعر ديوانا ضخما أهم سماته الحماسة والفخر والتأوه والحرمان هو ديوان ابن مقرب .

وللشاعر أبيات أربعة ، شرح بها صراعه مع الحياة ، بل صراع كل نفس طموح حرة مع نوب الأيام :

يقول الشاعر ، في مطلع احدى قصائده : ـ

أبت نُوَبُ الايـام الا تماديـا فياشقوتي !.. ماالليالي وما ليا؟!

اذا قلت ـيوماـ: حان منها تعطف رأيت رزاياهـا تسامى كماهيا !

فليت اخلائي الذين ادخرتهم جلاءً لهمي، لاعليَّ ولا ليـــا !

وأعجب ما يأتي به الدهر أنني أرى القوم ترميني بأيدي رجاليا

هذا لون آخر من الظلم ، أحسبه أشد مضاضة على النفس مـن وقع الحسام المهند كما يقول طرفه .

على أن شاعرنا لم يشأ أن يسير على هذه النغمة السلبية النائمة التي تبلد اكثر مما توقظ ، فصرف وجهة الحديث ـ مستدركاً فـي سرعة ـ الى الناحية الايجابية الباسمة، فقال بعد الأبيات الأربعة:ـ

على أنني النَّدْبُ الذي يُكتفى بـه

وبيت علاها بيت عمي وخاليـا

الا ليت شعري من يقوم لمجدها

مقامي !؟.. ويرعى ما لها كنت راعيا !

لعمري لقد أرذتْ جواداً وضعضعت

عماداً إذا ما الهول ألقى المراسيا[1]

وبعد أن يستمر على هذا المنوال يعود ليسأل بني عمه : ـ

إلى مَ بني الاعمام نُسْقَى نطافَها

أجاجاً ، ويُسقى الغير عذباً وصافيا ؟!

فوالله ما أدري ـ واني لصادق ـ

عميً ماأرى من قومنا ام تعاميا ؟!

هراقوا ذوي السم الزعاف وأولجوا

بأيديهمو تحت الثياب الأفاعيا !!

ويمضي في عتبه وتوجعه ، مرسلا أناته حكمـــاً ملؤها الرجولة والخلق والانسانية .. ثم يعود ثانية للفخر بنفسه وللحديث عـن فعاله .. وهكذا تتأرجح القصيدة بين الفخر والحكمة . ومحـور الكلام ، دائماً ، هو ما يعاني منه من بني عمه من قسوة ومجافـاة وتحد ..

وفلسفة الحرمان تستدعي ـ غالباً ـ حديث المحروم عـن نفسه وعن همته القعساء ـ ولو لم تكن له هذه ـ وعن سومكانته وجميل سماته وكريم محتده .. وهذا النوع من الحديث ـ وهو ضرب من الفخر ـ ذو علاقة متينة بالحرمـان .. ذلـك ان بواعث الفخر والمباهاة كثيرة ، والحرمان احد هذه البواعث . والمحروم يحـاول خداع نفسه بتغطية عذابه ، ويحاول ، من جانب آخر ، اقنـاع حارميه بل تبكيتهم واشعارهم بأنهم لن يستطيعوا أن ينالوا مـن قيمته في المجتمع .. وأيضاً فان الفراغ الذي اكتنف حياة الشاعر ، ابان حرمانه ، أفسح له مجال الحديث عن نفسه بسخاء ..

---

(١) يقال : أرذاه ، أى أضعفه وأمرضه .

وما حديثه عن نفسه الا رد فعل لما يعيشه من واقـــع مرير سيء وحرمان عارم مستطير. ولقد غص ديوانه بكثير من حديث النفس.

ومن حديثه عن نفسه قوله : ـ

بيت الرئاسة لي وحكمة دغفل ... وبيـان سحبان وشعر الأخطل

وقولـــه : ـ

ولست اذا تشـــاجرت العوالي ... بغمر في اللقـــاء ولا جبـــان

ولكنني حُدَيَّـــا كل يـــومٍ ... تلاقى عنـــده خلق البطان[1]

اخو الكرم العتيد وذو المقال السـ ... ـديد ومِدْرَهُ الحرب العوان

وقولـــه : ـ

أأرضى بما يرضي الدنيَّ وصارمي

حسام وعزمي عزم ذي لِبْدَةٍ وَرْدِ[2] ؟!

سأُمضي على الايام عزمَ ابن حرةٍ ... يُفَدَّى بآباء الرجال ولا يُفْدِي !

واني لبدرُ ريـع بالنقص فاستوى ... كمالاً ، وبحر يُعْقِب الجَزْرَ بالمدِّ

فآهٍ لقومي ـ يوم أُصبح شاويا ـ ... على ما جدٍ يُحْيي مكارَمهم بعدي !!

واني في قـومي كعمرو بن عامر ... ليـالي يُعصى في قبائـله الازدِ[3]

ستعلم هنـد أنـني خـــير قومها ... وأني الفتى المرجوُّ للحلِّ والعقدِ

---

(١) يقال : أنا حدياك : أى ابرز لى وحدك .

(٢) ذو اللبده الورد : يعنى الاسد .

(٣) عمرو بن عامر بن حارثة الغطريف الازدى ، الملقب بمزيقاء ،من ملـوك التبابعة باليمن ، كان له تحت سد مأرب حدائق واسعة، وقد اهمل شأن السد فى أيامه فخرب وتفرقت الازد فى البلاد .

وكان عمرو قد نبه قومه الازد الى الخراب الذى بدأ فى السد وحذرهم من مغبته فلم يصغوا له فكانت النتيجة انهدام السد وتمزق قومه أيدى سبأ .

وأن أيادي القـوم أبسطها يدي وأن زنـادَ الحي أثقبها زندي !

وفي الأبيات الآتية ، نرى مدى الترابط بين حديثه عن نفسه وما يعاني منه من حرمان وشقاء : ـ

سيصحب الدهر مني ماجـدٌ نجِدُ لو داس عرنين انف الموت لم يُرَع
أأقبل النقص والآباء منجبـــةٌ والبيت في المجد ذو مرأى ومستمع؟!
لاركبن من الاهـــوال أعظمها هولاً ومـا يحفظ الرحمن لم يُضَع
ولاأكون كمن يسعى وغايتـــه ومنتهى سعيه للـري والشبـع !

أيذهب العمر لا يخشى معاندتي

خصمي ، وجاري بقربي غير منتفع؟!

وبـين جنبيَّ عزم يقتضي همما لو ضمَّها صدر هذا الدهر لم يَسَعِ
فلارعى الله ارضاً لااكون بها سما لمستنكف غيثـــا لمنتجع !

كم عاين الدهر مـني صبر مكتهل

اذ ليس يوجد صبر العَوْدِ في الجَذَعِ [1] !

وكم سقـاني مـن كأس على ضمـأ امرٌّ في الطعم من صاب ومن سلع !

★ ★ ★

ان حياة ابن مقرب حياة يغمرها الحرمان من شتى اطرافهـا .. فاذا وصفناه بأنه « شاعر الحرمان » فلا نكون بمثل هذا الوصف قد تجاوزنا الحقيقة .

ان أشعاره مزيج من دموع البؤس ومرارة الحرمان، وهي خلاصة تصويرية لواقعه القاتم الأليم المنكوب .. وهذا حافزنا ـ وكفى ـ

---

(١) العود : المسن ، والجذع : الشاب الحدث .

لاطلاق هذا الوصف ، شاعر الحرمان ، عليه • وما صرخاته وندوبه وبرمه بالحياة والناس الا أثر من آثار هذا الحرمان ••

ولقد أمضى شاعرنا بقية عمره دون أن يخرج بطائل ودون أن تتحقق له امانيه •• وقد بقيت صرخة الحرمان تتحشرج في صدره حتى آخر رمق •• وصحب هذه الصرخة ـ في أيامه الأخيرة ـ صرخة النذر والتحذير لقومه من تقلص النفوذ وتسليم مقاليد الأمور الى غير اهلها •• وكان أن تنبأ الشاعر بقرب زوال الدولة العيونية •• وقد حققت الأيام التالية هذا القرب ••

هذا ، واذا لم يكن لنا بد من أن نلخص حرمان ابن مقرب ، فاننا لا نجد أصدق تعبير من هذه الابيات التى قالها مخاطبا ابن عمه الامير الحسين بن مسعود بن أحمد بن أبي سنان : ـ

لِمَ يرتعي القوم الجميم وما لنا غير الالاءة مرتعا والحرمل!؟[1]

ولمَ الشقائق والتلاع لغيرنا

ولنا الخطائط قَسْمُ من لم يعدل!؟[2]

والبارد العذب الزلال لغيرنا وَنُخَصُّ بالملح الاجاج الاشكل !

ارحامنا من يوم غيب (جدكم) في رمسه مقطوعة لم توصل !

ولمَ العدوُّ يروح قردَ (زبيدة)

شبعاً ومصفي الود كلبةَ حومل !؟[3]

لولاك قلت وقلت لكني امرؤ ابداً اصون عن الشكاية مقولي ..

---

(١) الجميم : نبت جيد وطويل ومن احسن انواع الرعى ، الالاءة والحرمل: نوعان من الشجيرات الرديئة المرة التى لا تصلح للرى •

(٢) الشقائق : جمع شقيقة وهى المنفرج بين جبلين ، والتلاع جمع تلعة وهى كالشقائق • وارض الشقيقة او التلعة تنبت اجود انواع العشب ، الخطائط ، جمع خطيطة ، وهى الارض التى لا يعلوها الماء •

(٣) يقصد بزبيدة زوجة هارون الرشيد صاحبة الآبار والبرك المشهورة على طول طريق مكة من بغداد ، حومل : امرأة عربية لها كلبة تحرسها ليلا وتطردها وتجوعها نهارا •• وكانت حومل مشهورة بالجوع حتى اذا لم تجد ما تأكله يوما أكلت ذنب الكلبة !

شعره

ابن مقرب شاعر مجيد ، تتمثل في شعره الأصالة والبراعة،ومتانة الفكر ، وسمو الغاية كما تتمثل فيها قوة العزيمة وجبروت النفس وصدق التجربة ٠

وابن مقرب طويل النفس في معظم قصائده ، وله من جزالة اللفظ وقوة التعبير وبراعة الاداء ما يغطى هفوات المعنى أحياناً ٠

ومعانيه فخمة وعميقة في عمومها ٠٠ ولكن أخيلته ليست بعيدة المدى ولا واسعة التصور ٠ وهو ـ فيأكثر شعره ـ طبعي العبارة ؛ فلا لفظ يستغلق ، ولا معنى يشتبه ، ولا حوشية تستبذل ٠ بل نرى في أسلوبه انسياباً وتآلفاً واجتنابا للتراكيب المعقدة للمعنى ، مع حفاظه على سمات الفخامة وعلى حشمة اللغة ٠

ولئن اكتنفت أشعاره بعض هنات هينات في اللغة أو النحو أو القوافي ، أو ارتباك في التركيب والتأليف ـ وما اقل جميع ذلك !ـ فهو مما لا يخلو منه شعر أي شاعر ٠

ولقد وصفه (ابن ماكولا) بأنه شاعر محسن ٠

كما وصفه بعض المتقدمين بأنه : « فريد دهره المتقدم على متقدمى عصره ، حسن السبك فى شعره ، جزل الالفاظ فى كلمه، كثير الامثال في نظمه » (١)

وقالوا عنه أيضاً انه : « لم يتكسب بالشعر لعطايا ، ولم يمتدح ذي ثروة من البرايا،وانما كان مديحه اكثرهفي أهل بيته وعشيرته، وهم ملوك البحرين، وله فيهم المدائح والمعاتباتوالنصائح٠٠» (٢)

وقال عنه الحافظ المنذري : « كان شاعراً مجيداً مليح الشعر ٠٠» (٣)

---

(١) ، (٢) عن نسخة مخطوطة مجهولة المؤلف لوقوع اولها ، موجودة فى مكتبة المرحوم احمد تيمور باشا بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٦٣٧ تاريخ، وقد سبق التعريف بهذه النسخة ٠

(٣) التكملة لوفيات النقلة ـ عند سرد وفيات سنة ٦٢٩ هـ ٠

وقال عنه ابن الفوطي : (كان شاعراً مسترفداً جزل الألفاظ)(١)

وقال عنه ابن الشعار الموصلي : « كان شاعراً مجودا منتجعا ، كثير المدح ، قليل الهجاء ،جيد القول متينه ، قوي اللفظ رصينه ، وهو احد الشعراء الموصوفين المشاهير في عصرنا المعروفين • أقر له الحذق أئمة العراق من ذوي الادب والعلم ، ومذهبه في الشعر مذهب الشعراء المتقدمين ، في جزالة الالفاظ وابداع المعاني)(٢)

والقارىء لشعره يحس ، في قرارة نفسه ، بأن وراء هذا الشعر رجلا عملاقاً ، وشاعراً له خطره وأثره،ويدرك لفوره بأن في معانيه من البعد والعمق والاتقان وصدق الشعور ، ما لا يقل بحال عما في معاني كثير من شعراء الضاد المبرزين •

وهو ــ في معظم قصائده ــ ينهج نهج متقدمي الشعراء ويسير على منوالهم ويترسم خطاهم وسننهم ، حيث يبدأ القصيدة بغرض خارجي بعيد عن غرضها الاساسي الذي نظمت من اجله ، ثم ينتقل الى غرض آخر ، وربما الى اكثر ، حتى ينتهي به المطاف الى التخلص ــ في براعة وحسن ــ من تلك الأغراض الى الغرض الرئيسي في القصيدة • وقد يستهل القصيدة احياناً ــ بالغرض المنشود رأساً وبدون اية مقدمة او مدخل •

والقصيدة لديه ليست وحدة قائمة ، وانما البيت ــ في الغالب ــ هو الوحدة ، فهو ــ أي البيت ــ يجي مستقلا بذاته عما قبله وعما بعده • وهذا هو شأن معظم الشعراء العرب •

والطابع التقريري هو الغالب على شعر ابن مقرب ، ولكن تقريريته غير مباشرة •

وقصة الشعر لدى شاعرنا قصة ولدت معه منذ يفوعة اظفاره ونمت مع أيام عمره ••

وتسألني : كيف قال الشعر ؟ •• وكيف كان نظمه له ؟ •• وما قيمة ما قال ؟ ••

---

(١) تلخيص مجمع الاداب •

(٢) قلائد الجمان فى شعراء الزمان

ان الرواة (١) يؤكدون أنه بدأ قرض الشعر ولما يبلغ الحـــول العاشر من عمره ٠

والواقع أن مثل ذلك ليس بغريب أو فريد في تاريـــخ العرب الأدبي ، فقد حدثنا هذا التاريخ مراراً عن شعراء قالوا الشعر موهبة وفطرة ، قرضوه وهم في مثل هذا السن ــ بل قبله ــ ٠٠

نعم ٠٠ لقد نظم ابن مقرب الشعر طبعا ، وصدح به ــ قبـــل الاوان ــ ألحاناً شادية ماتعة وانغاماً عذبة أصيلة ، فصـــار مثلا سائراً مع الدهر وغداً مبعثاً للاكبار والاعجاب في نفوس قارئيه ٠

ولعل مما يزيد من مكانة ابن مقرب الشعرية ــ بل هذا هـــو المؤكد ــ نشأته في زمن تصدعت فيه دولة البيان وتداعى فيه صرح الشعر وأفل فيه نجم الأدباء والشعراء ، حتى لقد أصبح الشاعر أو الكاتب المجيد غير موجود ٠ أضف الى ذلك أن شاعرنا هذا قد نشأ وعاش في أرض الجزيرة ، في ربوع البحريـــن ، وهي أرض كان الشعر الجيد الرصين قد هجرها منذ أمد بعيد ، فلم تعد صعيـــداً لفحول الشعر ٠ ولهذا ، فان عصر ابن مقرب ــ القرن السابـــع الهجري ــ عصر أقفر من الشعراء الحقيقيين ، فلم يكن هنـاك ، يومذاك ، شاعر يلفت النظر ويسترعي الانتباه مثل ابن مقرب ، فهو ــ بحق ــ كان أمة في عالم الشعر ٠٠ أليس كذلك ؟ ٠٠ وأيضاً فان خروج شاعر من هذه الجزيرة ونبوغه في شاعريته بعـــد أن تسلمت بغداد والأندلس ودمشق والقـــاهرة والحواضر الكبرى رسالة الشعر من موطنه الأول ــ ان ذلك لما يزيد في مكانة ابـن مقرب الشعرية وفي أهمية الدور الذي لعبه شـــعره في تاريـخ الأدب العربي ٠

وهكذا ، فان ابن مقرب كان ــ في وطنه وفي زمنه ــ أمة في عالم الشـــعر ٠٠

---

(١) انظر مقدمة الطبعة الهندية للديوان سنة ١٣١٠ هـ ٠

الأغراض الشعرية عند ابن مقرب

على أن الأغراض التى نظم فيها شاعرنا لا تختلف في عمومها عما ألفه الشعر العربي من قبل ، فهو ـ في شعره ـ يلتقي مع ابي فراس الحمداني في قوله : ـ

الشعر ديوان العرب أيضا وعنوان الادب
لم اعد فيه مفاخري ومديح آبائي النجب
ومقطعات ربما حليت منهن الكتب
لا في المديح ولا الهجاء ولا المجون ولا اللعب

ان شعر ابن مقرب هو ـ حقاً ـ ديوان أمجاد عشيرته وقبيلته، وهو ـ حقاً ـ عنوان فضله وأدبه ، وان نظرة خاطفة فيه لتفصح عن ذلك تمام الافصاح .. وقد تضمن شعره الفخر بنفسه وبقومه ، وسادته فورة قوية من الحماسة الهب بها مشاعر نفسه ومشاعر بني عمه ، كما تضمن شعره أيضاً العتاب لبني عمه من الأمراء الذين أصاخوا لقيل الوشاة فأضاعوا حقوقه ، أو الذين أضاعوا الدولة برمتها لسوء تصرفاتهم وحماقة آرائهم .. واحتوى ديوانه أيضاً على طائفة كبيرة من الأماديح ولكنها في قرابته وأمراء عشيرته . ولست أدري أتعتبر الأماديح في الاقارب أماديح حقاً أم لا .. اما اماديحه للولاة والأمراء الآخرين ، من غير أسرته ، فهي قليلة . وصرف جزءاً من شعره في التشوق والحنين وفي الحكمة ، وقليلا منه في الغزل والنسيب وفي الرثاء ، وقال في الهجاء أبياتاً تعتبر قليلة جداً بالنسبة الى أشعاره الكثيرة ، والأقل من شعره في الوصف وفي أغراض أخرى متفرقة .

والواضح ان ابن مقرب قد خلد في مدحه وفخره وحماسته، وحتى في نصحه وعتابه ، مآثر قومه العيونيين، وضمن شعره شتيتاً من تجاربه في الحياة ، فهو مع أبي فراس لم يتعد تسجيل مفاخره ومفاخر آبائه وأجداده النجب ومقطعات تتحلى بها كتب الأدب ، وما المقطعات في ديوانه سوى الحكمة والغزل والوصف .

وسنحاول هنا دراسة بعض أغراضه الشعرية ، موجزين القـول في ذلك ، قدر الامكان مع الاستشهاد ببعض النماذج والنظائر دون عمد أو قصد في الاختيار ٠

المديـــح :

يقول ابن مقرب : ــ

وليس في الشعر من فضل يطول به ... مثلي ولو فاق اعلى سبعها الطُّوَل[1]

بـل فضل مثـلي ان يسمو بهمته ... عن مدح فَدْمٍ عن العلياء في شُغُل

ونشهد أن ابن مقرب لم يمدح فدماً في حياته ، ولم يطر مـن لم يستـحق الاطـراء عن جـدارة ٠ ونقـرر أن المـديـح المعـهود لـدى تجـار الكلام من الشـعراء لم يكن من بين مـا يقصـد اليـه الشاعر ابن مقرب من غايات ، فانه يحمد له ــ دون ريب ــ أن جعل مديحه واطراءه ، في معظمه ، وقفا على بني عمه ، علاوة على أن هذا المديح كان منصباً على غرض نبيـل يتلخص في المطالبة بحقوقه المشروعة التي ورثها كابراً عن كابر ، عـن أبيه وجده ، والتى اغتصبها منه عسفاً وعدواناً أبناء عمه الذين لعـب الوشاة به لديهم دوراً كبيراً بدافع الحسد والحقد واهانة لهـذا النبوغ المبكر في نفس هذا العبقري ٠٠ فمدحه ــ على العموم ــ انما هو من قبيل الاستعطاف والملاينة ، لم يرم به الى التكسب أو النوال كما هو شأن كثير من الشعراء على مر العصور ٠

نعم ، لم يمدح الشاعر ــ كما قلنا ــ الا لغاية شريفة مثلى ٠٠ في سبيل استرجاع املاكه ، من نخيل وزروع ، بل وفي سبيل أن يكون واحداً من ذويه ٠٠ خاصة وأنه لا يقل عنهم محتداً وحسباً وعقلا وتبدو في أماديحه عامة عزة النفس وقـوة الشكيمة وشـعوره

---

(١) يقصد بالسبع الطوال : المعلقات السبع ٠

بجليل مكانته من قومه وعشيرته ·· فهو القائل في أحد بني عمه من آل فضل : ــ

واني لصوان بمدحي ولو نبـــا ... بي الدهر واجتاحت نوائبه وفري
ولكنك المَلْك الذي من سمائـه ... نجومي التي تسمو، ومن شمسه بدري
ومن لحمه لحمي ، ومن دمه دمي ... ومن عظمه عظمي ومن شعره شعري
وآباؤك الغر الكرام أبوتـــى ... وبحرك من تيار آدابـــه بحري

فابن مقرب لم ينس نفسه في مقام مدحه غيره ·· وهو يقـول هنا لممدوحه انني لم أمدحك الا لأنك مني وأنا منك ·· وعلى هذا فمديحه لابن عمه هو مديح له هو نفســه في الحقيقة ·· ولعلنـا لا نكون مبالغين اذا قلنا ان ذلك أسلوب درج عليه في أكثر أماديحه وخاصة لبني عمومته · وفي هذه القصيدة ، أو هذه الأبيات ، روح يذكرك بروح أبي فراس الحمداني وهو يملأ الآفاق بأناشيد العزة، والكرامة وبألحان العروبة والقومية يبعث بها من خلف أسوار سجنه بالقسطنطينية الى ابن عمه سيف الدولة بحلب ·

هذا ، وان مديحه لبني عمه من آل فضل بن عبد الله قد زاد من عداوة الفرع العيوني الآخر المنافس لآل فضل في الحكم ــ للشاعر، فعندما أمسك هذا الفرع بزمام الامر اعتقدوا أن للشاعر مطامع خاصة في الحكم وذلك بفعل الوشاة والحاقدين ، ومن ثم ناصبوه العداء ثم صادروا أمواله وممتلكاته واودعوه غياهب السجن ،وبعد حين أطلقوا سراحه ولكنهم لم يعيدوا اليه ما صادروه منه · وكانت أماديح الشاعر لآل فضل،وهم منافسو هؤلاء ــ تذكي ضرام كرههم له وحقدهم عليه ·· بل لعلنا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان السبب

في هذا الكره وهذا التحدي ليست الا قصائده في آل فضل (١)وانهم قد اختلقوا تلك الاسباب الظاهرية لمضايقته كيما يوجدوا لهم مبرراً امام الناس .

ومع هذا ، فانه لما أصبح الحكم في أيدي آل فضل ، لم يسلم من الأذى ، فقد وشي به لديهم ، فتدهورت علاقاته بهم أيضا . ذلك أن خصومه خشوا أن ينجم عن علاقاته الطيبة مع آل فضل بروز صيته وظهور أمره ، فصوروه لهؤلاء بصور كاذبة وأوقعوهم في الشك فيه حتى أن هؤلاء ــ ومقاليد الأمر في أيديهم ــ لم يعيدوا اليه أمواله وأملاكه المصادرة من قبل .

---

(١) يدل على ذلك ما ورد في القصيدة التي يمدح بها الامير مقدما بن ماجد ــ من آل فضل ــ والتي مطلعها :ــ

أأسكت عن موئل الورى أم أعاتبه ... وأهمل وعدي عنده أم أطالبه ؟!

ففيها يقول :ــ

فكم سار لي في مدحكم من غريبة ... تروق ، وأغلى الشعر مهرا غرائبه !
بلا منة أسديتموها ولا يد ... الى ، وقول المرء أسواه كاذبه
بلى ، انني قاسيت فيكم مصائبا ... تهد القوى اذ أدرك الثأر طالبه
ولولا هواكم ما شقيت ولا غدا ... يصك برجلي القيد من لا أشاغبه
ولا اجتاحت الاعداء مالي ولا انبرى ... يطاولني من ليس تحصى معائبه

ويدل على ذلك أيضا قوله مخاطبا آل فضل :ــ

أما اجتيح مالي في هواكم وأسهرت ... بذا السجن عيني والعيون نيام ؟!

وقوله مخاطبا آل فضل :

اذا كنت اخشاكم واخشى عدوكم ... فان حياتي شقوة وغرام

وقوله :

فبوركتمو يا آل فضل فانكم ... ضياء ، وبعض المالكين ظلام !

ومن قوله في الفضل بن محمد ، مادحاً له ومذكراً اياه بما نالـه من أذى نتيجة مدحه لهم:ـ

أبا (فضل) قد طال انتظاري ، ولم يقم
شتاءً وقيظا عند مثلك وافـــد
وقد زالت الاعـذار لا (الغوص) بائر
ولا البحر ممنوع ولا الدخل فاسد
ولا انت محجوز التصرف في النـدى
عليك رقيب في نوالك راصـــد
ولا في (بني فضل) بخيل وانهـم
إذا اغبرت الآفاق غُرٌ أماجـــد
فمن اين يأتـي اللؤم يا بن محمـــد
ومجدك في بيت (العيوني) زائد؟ !

أترضى بأن تغدو تسامى ركائبي حمولاتهـا كيرانهـا والمقـــاود
لحق مديحي أم لحق مودتـــي لكم أم لأن البيت والجد واحـد؟!
فـلا تقطعن مابيننا من مودة وقربى،وخلِّ الشعر فالشعر كاسـد!
ولا تنسين مانالنـــي في هواكمُ وقد ظفر الساعي وقل المساعـد
يقوم بـه حـــيّا نزار ويعرب شهود ، وفي الدعوى يمين وشاهـد

ومن مدحه للامير أبي سنان مسعود بن محمد قوله :ـ

ملكٌ أحيـــا بمواهبـــــه قتـلى الامـــــلاق من الرمم
وانـار بساطـــــع سؤدده لذوى الامـلاك دجى الظـــلم

وأقـــــام بحسن سياسته شوس الامـــــلاك على النقم
وأذمَّ لمن اضحـــــى بحبا ه على الايـــام فـــــلم يرم
ملك تختـال قرى البحريـــ ن بـــــه في الحسن على « ارم »
نَـدِسٌ ردس شكس مكـــس شرس مرس وافي الذمـــــم (١)
لَـهِجٌ بهج بفواضـــــلـه سَمْحٌ طَمْحٌ عـــالي الهمم (٢)
يَسِرٌ عَسِـــرٌ فَرِحٌ تَـرِحٌ والخيـــــل تعثـر باللمم

* * *

خُلقت للنصل انـاملـــــه والبـــــذل الشامل والقـلم
فالنصل لأهـــــل عداوتـه ولكل لهـاةٍ كالأُطـــــم
والبـــــذل لاهل مودتـــه واخٍ في الله وذى رحـــــم
ويشير الى القـــــلم اليمو ن بمـــــا ينشيـه من الحكم

ومع ما ألحقه به آل أبي المنصور علي بن عبد الله مـــن أذى ومضايقة وسجن ومصادرة للأموال ، فقد أشاد بمتقدميهم وأفتخر بكثير من أمرائهم الذين شهروا بجانب من جوانـــب المروءة أو النجدة أو الشجاعة أو الهيبة أو الكرم .

ومن الذين أشاد بهم في شعره من هؤلاء الأمير علي بن عبد اللـه والامير شكر بن علي بن عبد الله والامير محمد بن منصور بن علي .

---

(١) الندس : سريع الفهم او السريع الى استماع الاصوات الخفية ، الردس: من المراداسة وهى المراماة وردس القـوم : رماهم بحجر ، الشكس : ذو الخلق الصعب ، وماكسه : شاحه ، والشرس: العنيف الطبع ، والمـــرس : الشديد والمجرب .

(٢) اللهج : المثابر على الشـــىء . والبهج : المتهلل بشرا .

ومدح ـ أيضاً ـ على قلة ـ بعض الخلفـــاء والولاة والأمراء الآخرين ، في العراق خاصة ، ممن ارتأى فيهـم الصلاح والخير ، وممن عرفوا بالخلال الحميدة والفعال المجيدة ، كالخليفة العباسي الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء ، فقد كان شاعرنا يرى فيه بقية باقية من أمل العـــرب والمسلمين ورمزا وشعارا للاتحـاد والخلافة وان كانت عوادي الدهر قد طوت وراءها أمجاد هـــذه الأمة الكريمة وافقدتها كثيرا من هيبتها ومقومات البـــقاء لها ـ وكشمس الدين باتكين ، أمير البصرة ، الذي اشتهر بسداد الرأي وبعد النظر وزكاء العقل والروح ، وعرف بين العامة والخاصـة بحب الخير وبالعطف على اليتامى والحدب على الارامل والمعوزين وبانشاء المدارس والمساجد والأربطة ودور الضيافة والمكتبـــات العامة للقراءة ومستشفيات الامراض العقلية (المارستانات) كما اشتهر بين رعيته بالعدل والانصاف واقامة الحدود وقمع الفتـــن ونوازعها والضرب على أيدي المفسدين ،والعابثين بالأمـن في وقت اضطربت فيه الأمور وتلبدت فيه الآفاق بغيوم الخوف وبما يشين ويكره • لهذا ، ولهذافقط ، ـ وهو حسبه ـ مدح أبا شجاع شمس الدين باتكين •

ومن أروع مدائحه لباتكين قصيدته التي يقول فيها : ـ

ليت شعري ماينقمون على الملْـ ـكِ التقيِّ الحر الخبير الجواد !؟
اتقاه لله ؟ ام علمـــــــه البا هر .. ام حسن حفظـه للوداد ؟

ومنهـــا : ـ

ام بنـاه لجامـــــع لم يدع للـ ـقول معنى في وصف (ذات العماد)؟
ام لان شيد (المدارس) و (الر بط) و (دار المضيف) للـوفّاد؟
وحشا تلكم المـدارس بالكتـــ ـب الشريفة الصحيحة الاسناد؟

ام بنا (السور) الذي صار مذ تمَّ قذى في عيون أهـــل الفساد ؟
ام لأن حف ذلك السور بالخنـ ـدق حفظا من اسود السواد ؟
ام عمارة (السوق) التي صغَّرَت سو ق ثلاثا بغـــــداد في بغداد ؟
ام لقيامه بالقسط ايـــام للجو ر خيـــول تجول في كل واد ؟
في زمان لاتسمع الأذن فيـــه غير صوت الصراخ في كل نـاد ..
ام لان شيـــد (المارستان) للمز نى وحفظ العقول والاجساد ؟
ام قراه للضيف ؟ ام ضربه بالسيـ ـف فوق الطُّلا وتحت الهوادى ؟
ام صيام يتلوه طول قيـــــام فهو في الدهر ساهر الطرف صاد ؟
ام لان يكفل (اليتامى) ويهدى من تعامى ، واي كاف وهـاد ؟!
ام جلاء (الشُّراة) ام امنه السبـ ـل بقتل اللصوص والمُـُّراد ؟[1]
ام اقامته (الحدود) وقـد صِيحَ بتعطيلها بكل النـــــوادي ؟
ام لان صير (البطائح) جنـا ت وساوى بين الربى والوهاد ؟

أما وأن عهد باتكين كان عهد اصلاح وتعمير ، وبناء وانشـاء ، وحفاظ على المصالح العامة ، فهو جدير بمثل هذا القصيد ٠
ونشأت بين باتكين وابن مقرب صحبة ومودة وتعاطـف ، فكان ذلك مدعاة جديدة لمدح باتكين واطرائه : ــ

ولستُ بمُهدٍ للرجال مدائحي ولو قَلَّ مال او تغير حـــــال
ولكن نعمى حركتني وصحبة وود .. وهـــــذا للكرام مقال

ولم ينكر ابن مقرب انه كان يمدح بعض الناس ، احياناً ، اتقاء لشرهم ومع ذلك فان هؤلاء لم يكفوا أذاهم عنه فيتركوه وشأنه : ــ

---

(١) الشراة : فرقة من الخوارج ٠ والمراد : الخارجين عن طاعة السلطة ٠

مديحي رجالاً بعضَهم اتقي بـه اذاه، وبعضاً للمراعـاة والود
فلا الود كافي ذا، ولا ذا كفي الأذى ولا نظروا في باب ذم ولا حمد

فهل يعني ذلك أنه عاد بخفي حنين من أماديحه ٠ ٠؟!

* * *

ومهما يكن من أمره ، فان ما قلناه وما سقناه من أمثـــلة يحكي فلسفة المديح عند شاعرنا العيوني ٠٠ وهي فلسفة لها ما يبررها ، وربما قامت على شيء من منطق معقول وتفكير بعيد ٠٠ فان من كان بمنزلته لا يسعه ــ وخاصة مع بني عمه ــ الا سلوك هذا النهـــج ، اتقاء للشر وطمعاً في الانصاف وحفظا للود وابقاء للحكم في أيدي قومه من أن ينفلت الى الخصوم والمناوئين ، ثم تسـجيلا وتخليدا لمناقبهم ، ومناقب سواهم من الملوك والأمراء والولاة الذين شهروا بالفضل والنبل وعرفوا بالرجولة والانسانية ٠

الفخر والحماسة : ــ

وكما صرف طائفة من شعره في المديح والاطراء ، صرف طائفـة أخرى منه في الفخر والحماسة ٠ ولقد دخل ابن مقرب دنيـا الفخر والحماسة من أوسع الأبواب ، وكيف لا ؟ ٠٠ والمواد (الخام) التي يستمد منها الشاعر ، أى شاعر ، هذين الفنين متوفرة في عشيرة ابن مقرب، ويزخر بها تاريخها المجيد ، وتفيض بها أيامها ، فالسيادة في شرق الجزيرة العربية كانت لها، انتزعتها انتزاعاً من أيدى خصومهم بعد معارك وصولات حاصدة طاحنة ٠ واستطاعت هذه الاسرة أن تفرض هيبتها على الآخرين فوقفت سداً منيعاً ضد عبث البادية وهجمات قطاع الطرق ٠ ويكفي الدولة العيونيـة فخراً أن يكون اخراج القرامطة من البحرين واسقاط دولتهم على يديها ، هـذا الى ما عرف به أمراؤها من أصالة في الفضل وعلو في الخلق وغيـرة على المحـارم والمصـالح ، الأمر الذى انطق القـلوب وبعث في النفوس الاكبار ٠

اذن ، ما على شاعرنا الا أن يحيل هذه المعاني وهذه الامجـــاد ، ببراعته وفكره الى الفاظ ملتهبة وعبارات متأججة ، وأن يسجـــل هذه المفاخر حفاظاً لذكرها والترنم بها مع الايام . وقد فعل ذلك ، فاعتبر ابن مقرب بحق واحداً من شعراء الفخر والحماسة المبرزين . أليس قومه ، كما يعتقد هو على الاقل ؟ ..

هُمُ الناس، كل الناس، والناس فضلة ... إذا ناب أمر أطَّ من حمله الصلب

بهم يُدرك الشأو البعيد وعندهم ... لملتمس المعروف ذو مربـع خصب

وفيهم رباط المكرمات وراثـةً ... يورثها المولودَ والدُه النـــدبُ

ولولا ايادِيهـم وفضل حلومهم ... لزلزلت الارضون وانقضت الشهب!

خفافٌ الى داعي الوغى غير أنهم ... ثقال اذا خفت مصاعيبها الـهُلْب [1]

إذا الجار امسي نهبة عند جاره ... فأموالهم للجـــار مابينهم نهب

اطاعت لهم مابين مصر الى القنا

إلى حيث تلقى دارها الشحر والنُّقب [2]

وجاشت نفوس الروم حتى ملوكها

اذا ذكرت املاكهـــا هزها الرعب

تحن الى ذات النـــــوال أكفهم

حنينا كذات السقب فارقها السقب [3]

فأكثر ماتلقاهمو ولباســـهم

حبيكُ الدلاص التُّبعيـات لاالعصب [4]

---

(١) المصاعيب : الفحول من الابل ، والهلب : ذات الشعر الكثير .
(٢) القنا : بأرض اليمن ، والشحر : بحضرموت ، والنقب : باليمامة .
(٣) السقب : ولد الناقة .
(٤) درع دلاص : ملساء لينة ، التبعيات : منسوبة الى تبع فى اليمن .

لهم ابداً ناران : نارٌ بها الصِّلا

تلذ ، ونارٌ لايقاومها الهضب [1]

وايامهم يومـــــان : يومٌ لنائلٍ

يقول ذوو الحاجات من فيضه : حسب !

ويومٌ تقول الخيل والبيض والقنا

به والعـــدى : قطْناً فلا كانت الحرب [2]

وان ضُـنَّ بالعِدان كان قراهمُ

سديف المثـالي لاعتود ولا وطب [3]

أولئك قومـي حين أدعو وأسرتي

ويُنجبني منهم شمارخـــة غُلب !

ألفاظ جزلة منتقاة ، وعبارات متينة متناسقة ، ومعـــان قوية جبارة ، وروح متطلعة متحمسة .. وكل ذلك جاء متناسقاً ومتلائماً مع الغرض في القصيدة . ولعلنا لا نكون مبالغين اذا قلنا ان مستوى القصيدة لا يقل عن مستوى قصائد الفخر الجيدة في الشعر العربي عامة ، فلقد وفق الشاعر في قوله وفي طرقه لمواطن الفخر عند العرب توفيقا ملموساً . ولئن اكتنف القصيدة بعض المبالغات كقوله عـن قومـه أنهـم هم الناس ومن عداهم فضلـة ، وأن الارض ـ لولا أياديهـم وفضل حلومهم ـ لكانت تتزلزل ، الى غير ذلـك ـ لئن اكتنفت هذه المبالغات القصيدة ، فان ذلك كان في غمرة الحماسة التي استولت ، دون شك ، على كيانه وهو يعدد مفاخر قومه ، ومع

---

(١) الصلا : الشواء والوقود ، والهضب : الجبل المنبسط ، ويقصد بالنار الاولى نار الضيافة وبالثانية : بأسهم وشدتهم .

(٢) قطنا : اسم فعل بمعنى كفانا .

(٣) العدان: جمع العتود وهي الحولى من أولاد المعيز ، والسديف: سنام الابل .

ذلك فقد غطى هـذه المبالغات ـ ان جاز تسميتها في عالم الشـعر بالمبالغات ـ بجودة تعبيره وبروعة سياقه وبفخامة أدائه ، حتى أنه ليجعلك تسلم له برأيه كحقيقة لا غبار عليها .

وهذا مثال آخر على فخره وحماسته ، وهو لا يختلف عن المثـال الاول في مادته تقريبا ، ولكنه قد يقل عنه من الناحية الشاعرية ، فالذي نحسبه انه من متوسط نظمه ، قال :ـ

انا ابن اركان بيت المجد ـ لاكذبا ـ والنازلين ذرى العلياء والقمما !
قومي هم القوم في بأس وفي كرم إن ادعى غيرهم مافيهمو وهـما
في الجاهلية سدنا كل ذي شرف بالمأثرات وسدنا العرب والعجما
وصار كل (معـدي) لنا تبعا يرعى بأسيافنا الوسميَّ حيث هما
حطنا (نزاراً) وذدنا عن محارمها ولم ندع لمناوي عزها حرمـا
حتى اتى الله بالاسلام وافتتحت كل البـلاد واضحت للانام سما
وفضل آخرنا عن فضل اولنـا يغني ، ولكن بحراً هاج فالتطما
شدنا من المجـد بيتا لايقاس به « ذات العماد » ولكن لم تكن «ارما»
سل (القرامط) من شظَّى جماجمهم فَلْقاً وغادرهم ، بعد العلا ، خدما !؟

وقد مضى ، في هذه القصيدة ، شارحا ما فعله القرامطة ببلاده ، من تقتيل للأنفس البريئة وتعطيل للشعائر الدينـية ، وشارحاً افضال قومه العيونيين في مناهضة هذه الطائفة ، وبلاءهم البـلاء الحسن في محاربتها حتى تحقق على ايديهم ما كان أهل البلاد يصبون اليه من عزة وكرامة واستقلال ، ثم عطف بعد ذلك معدداً مفاخر بعض أفراد عشيرته البارزين عارضاً كل ذلك بأسلوب جزل يذكرك بدولة الشعر العربي في عصور ازدهارها ..

فمن افتخاره بالأمير فضل بن عبد الله بن علي العيوني قوله : ـ

منا الذي قام سلطان العراق لـه جلالةً والمـــدى والبعد بينهما
منا الذي حاز من (ثاج) الى (قطر) وصيّر (الرمل) من مال العدو حمى[1]

وهو يشير بالبيت الاول الى حكاية تاريخية طريفـــة ، تشهد بعظمة الأمير فضل ، وتتلخص في أن جماعة من التجار كانوا علـى ظهر سفينة بقرب شواطىء البحرين ، فهبت عليهم ريـــح زعزع حطمت السفينة ، ففر هؤلاء بأنفسهم من شبح المـــوت الى البر ، تاركين بضاعتهم للبحر والريح • وما أن سمع الأمير فضل بالأمـر حتى بعث من يغوص على الأموال لاستخراجها من قاع البحر ، وقد تم العثور على معظمها ، وحينئذ أحضر الأمير التجار لديه وسـأل كل واحـــد منهـــم عن مالـه المفقـود ، عن عدده وعن وزنه وعن علاماته ، فأخبر بذلك ، فقـــام بدفعها اليهـم ، وبعـــد ذلك ســـافر أحـدهم للعـراق ، وهنـاك في سـوق الجواهـر عرض بعض جواهره ، مما كان مستخرجا من سـاحل البحرين ، فما ان علم سلطان العراق يومذاك بأمر هذه الجواهر المعروضـة فى السوق حتى استولى عليها ودفع لصاحبها ثمنا بخسا لها ، فلم يأبه التاجر بالامر ولم يعره مزيد اهتمام ، بل زاد قائلا للسلطان خذ ما تشاء بلا قيمة فان هذا كله هبة من عربى كريم ، وانتبـه السلطان وقال : ويلك !•• ومن هو هذا العربى ؟ قال التاجر : انه الامير العيوني الفضل بن عبد الله سيد البحرين ، وقص عليه القصة وثمة وقف السلطان وطلب كأسا من شراب ــ كما تقـول الرواية ــ وقال : انما احتسي هذا واقفا من باب الاقرار بفضل سيد البحرين وبفضل أريحيته •• وبعد ذلك أمر بدفع قيمة تلكم الجواهر كاملة من غير نقصان •

ومن افتخاره بالامير ابي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي ، قولـه :

---

(١) ثاج وقطر والرمل أماكن معروفة •

منا الذي حين عدَّ الالفَ خازنه لضيفه،قال: ضاعفها اري امما [1]

وذلك ان ابا سنان وفد عليه وافد ، فأمر صاحب خزانته باحضار الف دينار ، فلما احضرها الخازن وألقى عليها أبو سنان نظرته تحرك عامل الكرم فى نفسه وقال للخازن : زد عليها ألفا آخر وسلم الالفين للرجل ..

وقوله :

منا الذي من نداه مات عامله غما ، واصبح في الاموات مخترما

وذلك أن عامل أبي سنان على جزيرة أوال قدم عليه بمال كثير ، وكان حاضرا لديه يومها (الثعلبي) ــ من شعراء العراق وأدبائه ــ فأمر أبو سنان بدفع المال الى الثعلبي . فصعق العامل لذلك وصاح : ولكن هل تدري بقيمة هذا المال ؟!.. وذكر ان من ضمنه جوهرة نفيسة ربما تجاوز ثمنها الالف دينار ، ولكن الامير أبا سنان لم يأبه لهذا ، بل أمر بدفع المال جميعه للثعلبي وقال : إنه ليس بكثير ولو كان اكثر من ذلك لكان أحب الينا أن ندفعه فلما سمع العامل هذا القول أصيب بنوبة من غم ، وما زال به الألم النفسي يشتد حتى آل به الامر الى مفارقة الحياة .

وافتخر في القصيدة ، بالامير أبي فراس غرير بن محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي فقال :

منا الذي جاد ايثاراً بما ملكت كفاه لايد يجزيها ولا رحما

يشير بالبيت الى ما جرى من أمر الامير أبي فراس مع الشاعر الثعلبي ، فقد ذكر شارح الديوان ــ وهو مجهول كما قلنا من قبل ــ ان الثعلبي مدح يوما أبا فراس ، فأمر هذا خازنه بتسليم مفاتيح الخزانة وترك له جميع ما بها وكتب له بالتصرف فى جميع املاكه فقال الثعلبي :ــ بعض هذا يكفي أيها الامير وطلبه بالحاضرين من علية القوم ان يأخذ من المال ما يكفيه فقط ، وهو ألف دينار ،

---

(١) الامم : الشيء اليسير.

ولكن الامير رفض ، فلا زال به الثعلبي حتى انتهى الامر بأخذ أربعة آلاف دينار ، وخرج الثعلبي لاهجا شاكراً • وأغلب الظن أن هذه الحكاية من اختراع الرواة ، والشارح أحدهم ، ولعل الذى دفعهم الى الاختراع انهم لم يعثروا على التفسير الحقيقي للبيت •

وافتخر ، فيها أيضا ، بالامير أبي شبيب جعفر بن الفضل بن عبد الله بن علي العيوني ، فقال :

منا الذي أنهب اصطبلاته كرما وهي الجياد اللواتي فاقت القيما

وكان ان سار فالعِقيان تتبعه لسائلٍ رُدَّ او مسترفد حرما [1]

وذلك أن الامير أبا مقدم مات له جواد ، فبلغ الخبر أبا شبيب فأمر له بأربعين جوادا خلفا في جواده ، فلما جاء بها الرسول أخذ أبو مقدم واحدا منها فقط ، فأعادها أبو شبيب ثانيا — الى ثلاث مرات — واخيرا نادى أبو شبيب فيمن حوله بنهبها وبنهب كل ما في الاصطبل ومن حاز شيئا فهو له • وكان أبو شبيب هذا — كما يحكون — اذا أزمع الركوب أمر أحد غلمانه بأخذ شيء من الذهب من لدن الخازن وجعله فى اوراق ، على مقادير مختلفة ، فكان وهو في الطريق يوزعها على السائلين والمسترفدين ، واذا تبقى منها شيء أمر بدفعه لمن على الباب من العيونيين ، فان لم يوجدوا كان من نصيب الخدم !!••

واشاد بانسانية الامير أبي المنصور علي بن عبد الله بن علي العيوني ، وبحدبه وعطفه على رعيته ، وشهامته ومؤازرته لها عند حلول النكبات الجائحة :—

منا الذي فضّ اموالَ الخزائن في غوث الرعية لا قرضا ولا سَلَمَا [2]

واهمل الدَّخْلَ ذاك العامَ فانتعشت به الرعية حتى جازت القُحَمَا [3]

---

(١) العقيان : الذهب الخالص •
(٢) السلم : السلف
(٣) القحم : المهالك والازمات •

فقد هجمت جموع كبيرة من البدو على الاحساء ، فنهض أهل البلاد لصدهم ، وفي موضـــع قريب من (السليمات) وقعت بين الطرفين واقعة عظيمة انتهت بهزيمة أهل البلـد هزيمـة منكرة حيث قتل منهم ثمانون رجلا وأسـر خمسمائة وعشرون ٠ وقبيل هذه الواقعة أصيبت الزروع والثمار بمرض وأرتفعت اسـعار المعيشة ٠ فتوالت على الاحساء المصـائب والنكبات ٠٠ بيـد أن انسانية الامير أبي المنصور دفعته لان يفتح ابواب خزائنه ويفرقها على الناس تخفيفا للكرب ، كما أعلن أن الزكاة مطروحة عنهم ذلك العام ، وما زال حادبا عليهم حتى كثرت معائشهم وصلحت ثمارهم وعادت الحياة العامة كما كانت ٠

كما أشـاد بمؤازرة الامير أبي الحسن بن عبـد اللـه بن علي ــ أمير القطيف ــ لقوم التجأوا بحماه ، فهون من مصابهم ، وهدأ من روعهم ، فكان لهم فيه خير عزاء :ــ

منا الذي جعل الإقطاع من كرم ارثاً توزعـــه الوراث مقتسما

وجاد في بعض يوم وهـو مرتفق بأربعين جواداً تَعْلِك اللُّجُمَا [٤]

وهؤلاء القوم هم (الرياشمة) ــ وهم فخذ من عبد القيس ــ من المناوئين للامير أبي المنصور وعنـدما حكم الاحساء خشوا من بطشه بهم فخرجوا هاربين صوب القطيف ، وكانوا سبعين فارسا وهناك التجأوا بأميرها أبي الحسن فأستقبلهم أحسن استقبال وأمر لكل واحد منهم بدار ومتاع وزاد وأوان وخدم وكل ما يكفل لهم الراحة ٠ كما وهبهم الكثير من النخيل والبساتين فتوارثها أبناؤهم من بعدهم ٠ ومن أخبار هذا الامير أنه حضر ذات يوم في مجلسه أربعون شاعرا فأمر ــ كما تقول الرواية ــ لكل شاعر بفرس !٠

وتصيب نواحي الاحساء سنة ممحلة لم ير أشـد منها قحطا ، حتى هجرت الطيور القفار الى المدن ، وكان أمير الاحساء آنذاك أبا مقدم شكر بن ابي المنصور علي بن عبد الله بن علي العيوني، وقد بلغ من كرمه ــ كما يقول الراوي ــ ان جعل لكل جنس من

---

(٤) مرتفق : متكيء ٠ تعلك : تمضغ ٠

الطير شيئا من طعامه فللغراب ـ مثلا ـ التمر ، وللفواخت وغيرها القمح وشتى الحبوب ، وجعل ينثر طعامها في مواضع تجمعها ، ومنع هواة الصيد من اقتناصها ..

وقد سجل ابن مقرب ذلك مفتخرا ، فقال :

ومطعم الطير عام المحل فاسمُ بـه

منا اذا صرّ خِلْفُ الغيث فانصرما[1]

وعندما حمل عبد الله بن علي العيوني لواء الكفاح ضد القرامطة وأحلافهم ، احتاج الى مزيد من المال ، وخوفا من ضعف مركزه وانتقاض الامر عليه ، أمده الامير أبو يوسف على بن يوسف بن ضبار ـ وكان ثريا ـ بأموال طائلة ، حكي ان الذهب كان يحمل اليه في مسوك ـ والمسوك رقاب من جلود الابل ـ فكان ذلك من اسباب انتصار عبد الله .. ولهذا يقول شاعرنا :

منا الذي انفق الاموال عن عرض حتى رأى شعب شمل العز ملتئما

ملء المسوك قناطيراً مقنطرة ما خاف في جمعها حُوبا ولا اثما

ويروى أن الامير محمداً بن أبي الحسين بن أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي كان شجاعا فارسا ، مشهورا بالكرم والعطف على المحتاجين ، وله في كل يوم من ينادى على سطح قصره كل مسكين وجائع الى الطعام ، وقد سجل ابن مقرب هذه المفخرة الانسانية بقوله :ـ

منا الذي كل يوم فوق دارته داعٍ ينادي اليه الجائعَ الضَّرِمَا

ويشيد بالامير ابي علي الحسن ، أمير القطيف ، الذى ما كاد يطرق سمعه نبأ قدوم الامير ابي منصور عليه ، حتى استقبله ماشيا واقطعه بلدا تسمى « الظهران » (١) فنزل بقصرها وقد حرم أن توقد بها أي نار للضيافة غير ناره هو حتى توفي :ـ

---

(١) اسم به : اعل به . الخلف : الضرع . صر : انقبض .

(٢) ورد ذكر « الظهران » كثيرا فى شعر ابن مقرب ، وهى المدينة المعروفة ـ اليوم ـ واحدى عواصم الزيت الكبرى فى العالم .

منا الذي لم يدع ناراً بساحته تذكى سوى ناره للضيف ان قَدِما

وأراد مرة غفيلة بن شبانة ، زعيم بني عامر ، المقيض في القطيف ، فصده عن ذلك أميرها ابو سنان محمد بن الفضل ، فتطور الامر الى القتال ، فتشتت جموع غفيلة حتى لقد اخذت حلته واقتلعت اطناب بيته ورمى به فوق الارض ، وانتهز غفيلة فرصة انشغال جند أبي سنان بالسلب والنهب ، فأحاط مع جماعة بأبي سنان غير أن هذا استطاع أن يشتتهم وأن يشق طريقه الى البلد دون أن يجرؤ أحد على متابعته ، ونزح غفيلة عن القطيف فورا .. وفي هذا يقول ابن مقرب مفتخرا :ـ

وصاحب البيت منا حين تنسبه لو لم نجد غيره سدنا به الأمما

وعن الامير أبي مقدم شكر بن علي بن عبد الله بن علي العيوني ، يقول ابن مقرب :ـ

منا الذي عام حرب (النائلي) جلا يوم (السُّبيع) ويوم (الخائس) الغُمما

يعني ما جرى من حماد النائلي الذى طمع في ملك الاحساء ، فسار اليها مغيرا ، وكان ملكها أبو سنان نازلا القطيف ومواليا على الاحساء ابا مقدم ، وقد تمكن حماد من دخول الاحساء بعد حربها ثلاثين يوما ، وفي حالة انشغاله مع قومه بالنهب حمل عليهم أبو مقدم مع بني عمه وعشيرته وجنده ، وقد عادت الهزيمة على حماد النائلي وقتل عدد كبير من جموعه .. « والخائس » موقع كثر به تقتيل جماعة النائلي فأنتن من شدة العفن ، و « السبيع » هو ولد غفيلة وقد قتل في الخائس .

ويقول عن الامير أبي ماجد بن منصور بن علي بن عبد الله بن علي العيوني :ـ

منا الذي منع الاعداء هيبتُه حرب البلاد فما شدوا لهم حُزما

ومات يطلب يوماً يستلذ به يطبق الارض نقعاً والحضيض دما

وذلك أن الأعراب المناوئين للأحساء ، التفوا حول أمير عقيل شبانه بن غفيلة وشكوا اليه شـدة الامير أبي منصور وجبروته ، وأغروا شبانة بالحرب فحدد لهم ميعاداً يراجعونه فيه ، فلمـا اجتمعوا ورأى ميلهم للحرب سألهم : كم في الاحسـاء من فارس مبرز ؟.. فعدوا له أربعين فارسا لا يطاق لهـم نزال ، فقال : وأبو ماجد عن أربعين فاصبروا ..! وطوال حياة أبي ماجد ما جرأ هؤلاء على حرب الاحساء . وكان أبو ماجد يقـول : وددت انني اطارد خيل عامر الى الليل يوما كاملا فمات قبل ذلك ، فقد كانوا يذلون عن حربه ..!

وافتخر بالامير محمد بن ابي الحسين بن أحمد بن أبي الفضل بن عبد الله بن علي ، ومن فخره به ، وهو ابن عمه ، قوله :ـ

منا الذي ضُربت حمر القباب لـه بالمشهدين واعطى الأمن وانتقما

لولا عياذ بني الجراح منه بـه

لصاحبت (دهمشاً) أو ألحقت (درما)

ويتلخص موضوع البيتين في أن أمراء ربيعة ، وهم بنو الجراح جمعوا قبائل طيء وزبيد والخلط وعرب الشام مع دهمش بن سند بن اجود بن سيد عربه ، وقصـدوا بني غفيل ، وهم عامر وعائذ وخفاجة ومـن خـالطهم مـن قيـس ، وكان الامـير ابن أبي الحسين رئيسا على قبائل الأحساء ، فلما سمعت خفاجة ومن معها بأمر الغزو بعثوا الى الامير يخبرونه ، وهم على خوف ممـا فعلت تلك الحشود بطريق مكة من غصب الحاج على ما أرادت ، وشكا الحاج الى الخليفة الذى حث ابن أبي الحسين على النهوض للتنكيل بدهمش ومن معه جزاء غصب الحاج ، فاستنهض الامير عرب البحرين وقصد العراق فانضمت اليه عربها فلقي بني ربيعة واتباعهم قرب الكوفة فأوقع بهم الهزيمـة ، وطلب بنو ربيعـة الصلح مع الامير فصفح عنهم وأجارهم ولكنه لم يجر دهمشـا فدخل هذا مشهد علي مستجيرا فاقام الامير الحراس على أبواب المشهد وبعث الى الخليفة يسأله الرأي ، فطلب الخليفة ـ وهـو الناصر لدين الله ـ اشخاص دهمش اليه ، وهناك استتابه فتاب

عن قطع طريق الحاج فخلى سبيله وأكرمه ٠

ويستمر على هذا المنوال معددا افضال عشيرته ومناقب قومه ، فردا فردا ، حتى ليخيل اليك أن هذه الشجرة ـ شجرة العيونيين ـ لم تخلق الخلال والمزايا الخلقية والانسانية الا لتتحلى بها ، وكأن من عداهم من الناس باتوا خلواً من الشيم والمروءات أو أصفار أيد من الرجولة المكتملة والخلق السامي !٠٠ وذلك بلا شك يعد براعة وعبقرية من الشاعر امتلك ناصيتها فجعلك تستسلم أمام موهبته وتنقاد له في رأيه وهكذا يفعل الشعر الحي في القلوب !٠

ثم يختم ابن مقرب قصيدته هذه قائلا :ـ

أبياتنا لذوي الآمال منتجـــع إذا الزمان يرى كالعير أو عَرَما[1]

وماعـــددتُ عشيراً من مناقبنا ومن يَعُدُّ ثرى (يبرين) مرتكما!؟[2]

اذن ـ بربك ـ لو عدها كاملة ما ذا تراه سيقول ؟!

* * *

والحق أن هذه القصيدة ـ وهي في نحـو مائة وخمسين بيتاً ـ تعتبر بمثابة سجل خالد في ضبط اصلاحات العيونيين وأمجادهم ، كما تعتبر سفرا ضخما يحـوي معالم تاريخية حافلة بما نسـيه المؤرخون أو تجاهلوه ، فهي تاريخ لبعض ما أهملـه التاريخ ٠ ولعل قيمتهـا التاريخيـة من دواعي استرسالنا في توضيح بعض موضوعاتها ٠٠ والدارس لها دراسة عميقة يستطيع أن يستخلص منها صفحات وصفحات طوتها الحقب والأيام وعفت عليها السنون والعقود في تاريخ الأحساء خاصة والبحرين عامـة ، في القرنين الهجريين السادس والسابع ، فهي مصدر هام من مصادر التاريخ السياسي لهذه الناحية من جزيرة العرب ٠

وفخر ابن مقرب ، من بعد ، لا يقف في الغالب عند عشـيرته ، بل يتخطاها الى قبيلته الأم ، عبد القيس ، وأحيانا يتجاوز ذلك الى ربيعة ، بل والى معد وعدنان ٠٠ وقـد رأينا طرفا من ذلك

---

(١) عرم : فسد

(٢) يبرين : واحة في الربع الخالي من جزيرة العرب

عندما اعتز بآبائه الاول وسيادتهم في الجاهلية وفي صدر الاسلام.

الشكوى والأنين :

ظل صوت الحرمان ، كما قلنا في فصل سابق يعلو في سماء شعر شاعرنا مجلجلا ، وظل حظه العاثر فى الحياة مصدراً لبث شكاته وأنينه ، ونسمع هذا الأنين وهذه الشكوى اكثر ما نسمع في كثير من قصائده التي قالها في الأمراء ، من بني عمه ، الذين اغتصبوه أملاكه وأودعوه غياهب السجن ، وفي قليل من قصائده التي قالها وهو في أحضان الرافدين بالعراق .

لقد برم بأحداث الزمان ونوبه وفجائعه ، وتصور أن الشر ونبال الأذى تحيط به من كل جانب ، كما تصور تحالف الرزايا والمنايا ضد طموحه وضد آماله .

اسمعه يقول شاكيا ومتبرما :ـ

أفي كل يوم للخطوب أُصالي ... ألا ما لأحداث الزمان ومالي؟!
يُفَجِّعُنَني في كل يومٍ يمرُّ بي ... بأنفس مالٍ أو بأشراف آل
أرى الشر قداما وخلفا وأتقي ... نبال الاذى عن يمنة وشمال
اذا قلت جلّى بعض همي اتت له ... نوائب أمضى من حدود نصال
كأن الرزايا والمنايا تحالفا ... على عكس آمالي وبتّ مآلي
لحى الله هذا الدهر كم يستفزني ... لخوض بحارٍ أو لشق جبال!
يكلفني جريَ الجواد وقد لوى ... شِكالاً على ساقيَّ خلف شكال[1]
وقدمصَّ مخَّ العظم حتى إزارَهُ ... وبدّله من نِيِّه بهزال[2]

وشكا خسة اللئام ، وتمحل المغتابين ، وتلون المخادعين ، أولئك الذين لهم كل يوم مظهر الحرباء ، فقد مني ـ على حين

(١) الشكال : رباط الدابة .
(٢) الازار : الاصل ، النى : السمن .

غرة ـ بفئة ، من ضعاف النفس ، وصغار القلب ، وسيئي الطبع والخلق والغرض ، ممن لم يراعوا للود حقا ولا للصداقة وفاء :ـ

فلم أرَ منهم[1] غير خِبٍّ يمدُّ لي ... لسانَ محبٍّ من طويـة قالِ[2]
لهشيمة السنور في لطف خدعة ... ولكنه في اللمس حية ضـالِ ![3]
اذا جئتُ فدَّاني وأبدى بشاشـة ... ولاحظني منـــه بعين جلال ..
وان غبتُ أدنى ساعة من لحـاظه ... تمحَّلَ في غيبي بكل مِحَـــال[4]
إلى الله أشكو منجمي في معاشر ... هموشر ماضٍ في الزمان وتالِ[5]
صحبتهمو مستصفيا فوجـدتهم ... أليم عـذابٍ في أشـــد نكال !
اذا قلتُ حلَّ الدهرُ غِلَّ صدورهم ... أبت سوء اخلاقٍ وقُبْحُ خصالِ

ومن شكواه من حاله مع بني عمه الذين صادروا ثروته وزجوا به في السجن نتيجة لقيل النمامين لهم عنـــه ، قولـه في معرض الحديث عما جرى بينه وبين بني عمه الامراء :ـ

وقد كنت ذا مال حلال وثروة ... يُضاعف إكرامي وتُرجى مكارمي
فمال على مالي وحـــالي وثروتي ... وجاهي وأصغى لاختلاق النمائم
فظلتُ أعاني القيدَ في قعر هُوَّةٍ ... سماعي والحاني غناء (الاداهم) !

أو قوله في موضع آخر :ـ

وقد كنت ذا مال حلال وثروة ... يضاعف اكرامي وتُرجى مكارمي

---

(١) الضمير يعود على كلمة « اللئام » في البيت الذى قبله .
(٢) القالى : المبغض ، الخب : المخادع .
(٣) الضال : السدر البرى .
(٤) المحال : الكيد والكذب .
(٥) منجمى : يقصد وجودى بينهم .

فأغرى بي الواشي المشوم وخانني لما حزته من ضيعة ودراهم
وبتُّ عزاي السجن في مُدْ لهمَّة يجاوبني فيها ثقال الاداهم
واخرجني من بعد يأسٍ وقد أتى على نشبي أشكو الى غير راحم

حقا .. انها أبيات تفيض بساخن الدمع وتنبيء عن غصة نفس وحسرة أمل ، وتحكى قصة حرمان في حياة هذا الشاعر العظيم ..!

العتاب والنصح :

وعتب في شعره ـ والعتب من مقاصد الشعراء ـ على بعض أمراء بيته الذين أبعدوه وأسلموا مقاليد الامور وأزمة الحكم الى حثالات الناس من اتباعهم وحاشيتهم ، الامر الذي عاد بأوخم النتائج وكان سببا من أسباب تدهور الدولة العيونية فيما بعد ، فقد عمل هؤلاء من طرف خفي ـ وعن تعمد وقصد ، على الكيد لهذه الدولة التي نهضوا على أكتافها ، فأفقدوها بأعمالهم كثيراً من معالم هيبتها وقوتها ، وصيروها نهبا مشاعا للغزاة والطامعين من البدو والأجلاف الضاربين حواليها وعلى أطراف مملكتها بشروطهم التعسفية التي فرضوها على العيونيين وأرغموهم على قبولها .. وكان اولئك الحثالات من الاتباع قد اوعزوا الى الغزاة باملاء هذه الشروط ، وحبذوا للعيونيين ـ من الناحية الأخرى ـ قبولها والموافقة عليها وقد حاول ابن مقرب نصح قومه وتنبيههم ولكنهم لم يصيخوا له ولم يعيروه بالا ، بل لقد نفروا منه وتشككوا في اخلاصه وفي مساعيه واعتقدوا انه منافس لهم في الحكم مما حدا بهم ـ كما قلنا ـ الى مصادرة املاكه ومتابعة حركاته وسكناته بل الى سجنه . وقد صور ابن مقرب ذلك أروع تصوير حين قال :ـ

ومما شجاني ـ يالقومي! ـ فعبرتي لدى كل حين لايجف انسكابها !
تضاعن أملاكٍ أبوها اذا اعتزت أبي ونصابي حين أعزى نصابها !

أبي أن يـــــــلم الدهر فيما يلمه عصا بينها أو أن يُرَجَّي اعتتابها
أطاعت مقالات الاعادى وغرَّها تملقها في لفظها واختلافهـــا
فانحت على ارحامها بشفارهـــا وأوهن عظمَ الاقربين اصطلابها
ولو قبلت نصحي واصغت لدعوتي ـ وانجح فاشي دعوة مستجابها ـ
لداويتُ كلماها وأبرأتُ داءهـا فلم يتحلَّم ـ بعدصحٍّ ـ اهابُها [1]
وقُدتُ الى الليث السَّبَنْدَى ولم انم على الغمر حتى يصحب الغيل لابُها [2]
ولكن لامرٍ أخروني وقدموا زعانف لا ينهى العدوَّ احتسابها
تصيب وما تدري وتخطي ومادرت وتعدو وفي حبل العدوِّ احتطابها
فياصفقـــة الخسران فيما تبدلوا وهل يتساوى تبرها وترابها ؟!
وهل قيست الخيلُ العرابُ بعانة كُدَاديـةٍ لايلحق الضبَّ جابها
لذا طمعت فينا البلايا واصبحت تهرُّ علينا كالشُّرات كـــــلابها
وشالت لنا اذنابهـــا مقذحرةً وعهدي بهـــا تسطو عليها ذئابها

ويمتزج عتبه بالحسرة والكمد والألم ، وهو بهـذا يعبر عن صدق شعور كامن فى نفسه تجاه موضوع العتب .

ومن أروع قصائده في العتب ، قصيدته الدالية التي مطلعها :ـ

تجافَ عن العتبي فما الذنب واحد وهَبْ لصروف الدهر ما انت واجدُ
اذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه فلا عجبا ان اسلمتك الاباعـد [3]

(١) يقال حلم الجلد أى وقع فيه الحلم وهو دود يقع فى الجلد فيأكله فاذا دبغ وهى موضع الاكل .
(٢) السبندى : الطويل ، الغمر : الجواد أو الماء الغامر ، اللاب جمع اللابة وهى الدرع .
(٣) ورد الشطر الثانى من هذا البيت فى بعض النسخ هكذا : (فواعجبا ان سالمتك الاباعد) .

يعتب فيها على الأمير فضل بن محمد بن أحمد بن أبي الحسين، ويشتد عليه فيها باللوم لجفائه لـــه وقطيعته لحـــق القرابة والاستهانة بحقوقه لديه ، ويذكره بما مضى ، ضاربا له على ذلك الامثال الموجعة الأليمة ، ومظهرا له آيات الندم على مديحه له في السابق ويقال انه قد أنشد الأمير فضلا هذه القصيدة ، وبعـد ذلك رحل لتوه من البلاد .

ومن أبياتها :ـ

أيا فضلُ قد طال انتظاري ولم يقم ـ شتاءً وقيضاً ـ عند مثلك وافدُ
وقد زالت الأعذار ، لاالغوص بائر ولا البحر ممنوع ، ولا الدخل فاسد
ولاأنت محجور التصرف في الندى عليك رقيب في نوالك راصـــد
ولا في (بني فضل) بخيل ، وانهم اذا اغبرت الآفاق غُرٌّ اماجـد
فمن اين ياتي اللؤم يابن محمـــد ومجدك في بيت (العيونيِّ) زائد
اترضى بان تغدوا تسامى ركائبي حمولاتها كيرانهـــــا والمقاود
لحق مديحي ام لحـــق مودتي لكم ام لان البيت والجد واحـد؟
فلا تقطعن مابيننـــا من مودة وقربى، وخل الشعر فا لشعر كاسد!
ولا تنسين مانالني في هواكـــمُ وقد ظفر الساعي وقل المساعد
يقوم به حيا (نزار) و (تغلب) شهود ؛ وفي الدعوى يمين وشاهـد
لقد كنت ارجو في جنابك حالةً يموت لها غيظا غيور وحاســـد!

وقال يعتب ويتوجع ، اثر أفعـال وأحداث وقعت لأهل بيتـه العيونيين على يد الأمير أبي القاسم مسعود بن محمـد بن على بن عبد الله العيوني ، بتصرفاته القاصرة عندما قرب زعانف القوم وأبعد افراد العشيرة ، فكانت النتيجـة أن عمل أولئك الزعانف على تقويض أركان الدولة وزعزعة نفوذها :ـ

ان كان شأنكَ ارضاء العدو بنـا فدون هذا به يرضـى معادينا !

الحمد لله حمـداً لانفادلـــــــه اذ لم يكن ضعفنا الابايـــدينا !

ويقول من القصيدة نفسها :ـ

فما المعادي لنـــا اولى ببغضتنا من (ابن عم) مـدى الايام يؤذينا

اعزز على (ابن علي)[1] والأكارم من

آبائنا ان يسيم الضيم وادينـا !

نال المعانـــــــد منا مايحاوله سراً وجهراً وتعريضـاً وتعيينا

رامت ذوو امرنا اطفـاء جمرتنا فعندها الحقوا الاحساء بيبرينا !

يشير بالشطر الثاني من البيت الأخير الى ان الأحساء ، بعد أن كانت عزيزة بنفسها قويـة بذويها ، أصبحت في أيدي الأعراب المغيرين الذين يقطنون فيافي يبرين بالربع الخالى .

وكان أبو القاسم هذا طيب القلب ، ضعيف الشخصية ، حسن الظن بالناس ، كثير الاعتماد على غيره ، ولهذا تمكن اولئك النفر الذين قربهم من توجيهه نحو الوجهـة التي يريدونها ، حتى آل الامر الى افتقاد الدولة لكثير من أرجائها ولهيبتها ، بسبب تواطؤ هؤلاء مع خصوم الدولة من رؤساء القبائل . وتقول الرواية ان ابن مقرب كان غائباً عن الاحساء عند وقوع تلك الاحداث فلما عاد ـ بعد أن بلغته أخبارها ـ دخل على أبي القاسم وعاتبه عتابا مراً ، ولكن أبا القاسم أنكر أن يكون سببا في شيء من ذلك ، غير أن ابن مقرب قال له : لقد فعلتها غير متعمد بل خدعة من الجلساء وانصرف من عنده مغاضبا وهو يردد البيت المشهور :

اذا كنت لاتدري فتلك مصيبـة وان كنت تدري فالمصيبة أعظم !

---

(٢) يعنى عبد الله بن على (مؤسس دولة العيونيين) .

ثم أنشأ قصيدته النونية التي أوردنا طرفا منها (١)

الرثـــاء :

وقال شعرا في الرثاء ، والرثاء ـ بطبيعة الحال ـ لا يقال طمعا في مغنم ، أو أملا في مكسب ، أو اتقاء لسوء ، ولا لأي غرض آخر سوى الوفاء للفقيد واظهار الحسرة والحـزن على اختزام المنون له ، مع شرح سجاياه النبيلة وخصاله الحميدة التي عرف بها في حياته • لقد سكب ابن مقرب دموع عينيه لفقده قريبا أو وجيها أو عالما فاضلا أو سواهم من ذوي المكانة من قلبـه ، ولقد سكب هذه الدموع السخية في رائع بيانه ، فجاء شعر الرثاء عنده يحكي كمداً وأسى عميقين في نفسه ويصور تأثرهوعاطفته في ذلكأيما تأثر • ومن الذين رثاهم شاعرنا ابن عمه الامير أبي علي محمد بن الحسين بن محمـد بن علي والرئيس الحسن بن عبد الله بن أحمد ، والقاضي محمد بن ابراهيم المستوري ، وابن عمه الادنى مذكور بن عبد الله بن منصور بن مقرب •

ومن رثائه للأمير أبي علي محمـد بن الحسين ، وقـد توفي في القطيف بأرض المزار :ـ

ولابدَّ لي من وقفةٍ قبل رحـلةٍ ... أذيل بها دمعي فينهل وابلـه (٢)

على جدث أضحى به المجـد ثاويا ... بحيث ترى شط (المزار) مقابله

لاسأل ذاك القبر هل غيَّر البـلا ... محاسن مجد غيبتهـا جنادله

وهل همه الموتـى باشعاء غارة ... يثار بهـا من كل جو قساطله (٣)

فقد نامت الاحياء عن العز واستوت ... بكل سبيل أسده وخياطلـه

---

(١) ومع كثرة عتب ابن مقرب على بنى عمه ، سواء لتصرفاتهم معه أو تجاه كيان الدولة العيونية على وجه العموم ، مع ذلك العتب والاستنهاض والندب فانهم لم يلقوه بالا ولم يعيروه أى اهتمام •• ولهذا نراه يقول :ـ

وكم أندب الموتى وأسترشح الصفا ... وأستنهض الزمنى وأعتان بالرمد ؟

(٢) أذال الدمع : أرسله •

(٣) يقال : شعى القوم الغارة : أى أشاعوها •

فيا عجباً من ملحَدٍ ضمّ فيلقـا وطوداً وبحراً يركب المزن عاقله!
مضى طاهر الأخلاق والخيم لم يمل الى سفه يومـــا ولا خاب آمله
فيالك من مجد تداعت فروعـــه ومال ذراه وانقعرت أسافلـــه!
ليبك العلا والمجد والبأس والندا لقد صلَّ واديها وجفت مسايله[1]
وتندبه البيض الصوارم والقنـا لمـــا انهلتها كفـــــه وانامله
لقد منيت منـــه الأعادي بثائر هِمام أبى أن يحمل الضيم كاهله

ولعل القاريء قد لاحظ مدى اندماج الشاعر مع غرضه ، وانسياب روحه في الموضوع ، ولقد بدأ التأثر واضحا وجليا في تعبير الشاعر ومعانيه . ان الشاعر قد عاش الفجيعة واكتوى بنارها فكانت أليمة وقاسية عليه .

ومن رثائه للقاضي المستوري قوله :ـ

ابعدَ ابنِ ابراهيم يادهر يُبْتَغَى اليك خلود او تُرَجَّى صنائع؟
تعست!.. لقدعلمتنا بعده البـكا وعرفتنا بالثكل ما الحزن صانع
فتى كان براً بالعشيرة راحمـــاً رؤوفا بها لاتزدهيـــه المطامع
ولم تلقه في محفل من نـــــديّه يشارى على ماساءها ويبايـــع
ولو شاء جازى بالعقوبة قدرةً ولكن له من خشيـــة الله رادع
يصدُّ عن العوراء حتى كأنمـــا به صمم عما يقول المقـــــاذع
كريم الثنا تابى الدنيـــةَ نفسُه هِمام لابواب الحوادث قـــارع
له حـــكم ماثورة حين تلتقي بآرائها عنـــــد الملوك المجامع

(١) صل : يبس .

ويختم القصيدة مخاطبا ومعزيا أخا الفقيد :ـ

تعزَّ فكل سالـــــك لسبيله وكل امرىء من خشية الموت جازع
ونحن سواء في المصاب وان نات بنا الدار فالارحام مناجو امـــع
ولاشك منـا في التاسي وانمـــا نعزِّيك اذ جاءت بذاك الشرائـع

وربما كان في البيت الاخير ما يلقي شيئا من الضوء على دواعي الرثاء والعزاء عند ابن مقرب ٠

الحكمـة :

عرف أدب العرب كثيراً من شعراء الحكمة ، ولو كان حظ ابن مقرب من الشهرة كبيرا لاعتبره الدارسون أحد المبرزين فيهـا ، فهو بحق شاعر حكمة ٠

والحكمة وليدة التجـربة ، والتجربة تعني التمرس بأحداث الحياة وصروف الزمان ، وتعتبر خلاصة اجتماعية مركزة لواقع مر بالانسان فكان له فيه عبرة ودرس ، وهي ـ فيما بعد ـ تمثل مدرسة تعليمية لها طابع النصح والحشمة والوقار ٠

ولقد اكتنف شعر ابن مقرب كثيراً من ألوان الحكم الواعظة ، أوردها في شـكل مقنـع مسلم به على عادة حكماء الحيـاة وذوي التجارب المحنكين ، وجاءت لغتها فصيحة سليمة ، كما أن عرضها جاء ـ هو الآخر ـ سهلا جزلا ومبسطا ممتنعا ورائقا مستساغا ٠

هاك مثـالا على ذلـك ، بل أمثالا بينات ، وانك لواجد فيهـا تصويراً حياً دقيقا لفلسفة الحياة وخلجات النفوس :ـ

من سالم الناس لم تسلم مقاتلـــه منهم ومن عاش فيهم بالاذى سلما !
لايقبل الضيمَ إلا عاجزٌ ضَرِعٌ اذا رأى الشرَّ يغلي قدره وَجَما
وذو النباهـــة لايرضى بمنقصةٍ لولم يجد غير أطراف القنا عصما

وذو الدناءة لو مزقت جلدتـه بشفرة الضيم لم يحسس لها ألما !
ومن رأى الضيم عاراً لم تمرَّ بـه شرارة منه الا خالهـا أُطمَا
وكل مجدٍ اذا لم يبن محتـده بالبأس نقره الاعـداء فانهدما
لايضبط الامر من في عوده خور ليس البغاث يساوي أجدلاً قطِما

فمن خلال هذه الامثلة ، نجد ابن مقرب يحكي تجاربه مع الحياة والناس ، فهو :

١ ـ لا يؤمن بسياسة اللين والمسالمة ، وانما يؤمن بسياسة العنف والقوة ومبادرة الآخرين بالأذى والظلم ، لأن ذلك هو الطريق الى العيش في هذه الحياة بسلام .. وكل مجد أو ملك لا تقوم أعمدته على قوة البأس واليد سيكون سهل الانهيار سريعه .

٢ ـ يرى أن الرضا بالهوان والسكوت على المذلة انما هو شيمة العاجزين وذوي الدناءة ، أما الأقوياء والمتطلعون الى عل فان أنفتهم تأبى ذلك وترفضه في عناد ، حتى ولو حملهم هذا الاباء والرفض على امتشاق الصوارم والقنا .

ولا شك أن علاقة الشاعر ببني عمه العيونيين تمثل جانباً كبيراً في هذه التجربة . ولكن لكون التجربة مع أبناء العم ، فهو لم يشأ ـ على ما يبدو ـ ان يستفيد منها ليحقق غاياته ، فحق القرابة لديه شأنه عظيم ، ولا يليق بفتى أن يشق عصا الطاعة على قرابته اذ أن عزه من عزهم مهما كان أمره :ـ

ولا يعزُّ الفتـى الا باسرتـه
لوكان في الباس (عمرواً) والندى (هَرِما)

والحاكم الحازم هو من لا يأخذ بمشورة النساء أو زعانف الناس ومحدودي النظر :ـ

وأخسر الناس سعياً رب مملكة اطاع في امره النسوان والخدما !

وطالب الذل والثكل هو من يسلم خصمه سلاحه ويكل الى عدوه تدبير أمره :ـ

ومن يُعطِ خصماً درَعه وحسامه وسابغه فليلبس الذل مشملا !
ومن قلد الاعداء تدبير أمره فذاك الذي يُدْعى العديمَ المثكلا

وأوحت عبر الأيام الى ابن مقرب بأن الناس مع من غلب :ـ

ارى الناس، مذ كانوا، عبيداً لغاشم وخصماً لمغلوب وجنداً لغالب !!

والارض التي يشقى فيها الكريم ويصبح فيها تابعاً بعد أن كان متبوعا لا خير فيها :ـ

لاخير في منزل يشقى الكرام به ويلحق السيد المتبوع بالتبع

ومن لم يكن جريئاً مقداماً ، فانه يظل مهيناً لا يرتفع في عيشه عن الحيوان :ـ

ومن لم يلج بالنفس في كل مُبْهَمٍ يعش عَرَضاً للذل عيشَ البهائم !

والمصلح الناصح لقومه قد يحسبونه خائناً لهم ، وعلى العكس من هذا قد يحسبون الخائن المتملق ناصحاً مخلصاً :ـ

فكم ناصحٍ قد عُدَّ في الناس خائناً وكم غادرٍ قد عُدَّ في الناس وافيا !!

تلك نظرات ابن مقرب في بعض جوانب من الحياة جاءت في صورة آيات وروائع من الحكمة ، فهق اناؤها من خلال هذا الشعر الخفيف ، ودفق ينبوعها منساباً في الخلجات والمشاعر ، ومهما كان شاعرنا مسبوقاً الى بعض المعاني فيها ـ والمعاني مطروحة في الطريق كما يقول امام الادباء أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ـ فان المجهود الفني للشاعر تجاه حبكها واحكام صوغها واظهارها في هذا العرض المتسق الذي يستهوي الافئدة ويأخذ بتلابيبها ـ أقول ان هذا المجهود ظاهر جلي ويستحق عليه كل

تقـديـر ٠

الهجـــاء :

وقرض شعراً في الهجاء ٠٠ الا أن هجاءه قليل ٠ ولم يهج سوى اثنين فقط ٠٠ فقد هجا (ابن الدبيثي) ـ عامل واسط ـ ولقد عرف هذا الشخص ـ وهو عميد الـدين أبو العباس أحمـد بن جعفر بن أحمد بن محمد ـ بخصال سيئة نفرت منه ابن مقرب ٠ لقد بلغ هذا الرجل ، على ما تقول الرواية ، في الطمـع والظلم ومشاطرة قطاع السابلة ما يحصلون عليه حداً كبيراً اتخذ منـه ابن مقرب ثغرة ينفذ منها لهجوه وهتك حجابه والتشهير به ٠

وابن مقرب ، عندما يهجو يسف أيما اسفاف ، ولا يتورع عن ايراد العبارات المخجلة والالفاظ النابيـة ، التي قـد تذكـرك بالشاعر جرير وهو يسلط بذيء شعره ومقذع قوله على الفرزدق وام الفرزدق وعلى الاخطل وام الاخطل ٠

قال يهجو ابن الدبيثي :ـ

بـع (واسطاً) بالنـأي والهجر ودع المرور بهـــا الى الحشر
ارض يدبرها (ابن صابئـــة) شابت مفارقهـــا على الكفر !
غلفاء من نبـــــط البطائح لم يمر بها الموسى عـلى بضـــر !
تلقـــى الايور بعنبـلٍ خشن متعثكـــل يُوفي على الشبر !!
قد سدَّ واسعَ قُبْلها عظـــم فجميع ماولدت من الدبـــر !!

ولا شك ان مثل هذا الهجاء الشـنيع لما يبعث على البشـاعة والتقزز ، ولولا نشدان الحقيقة الأدبية المحضة ـ ولا حيـاء في الادب الباحث ـ لمـا طاب للقلم ايراد شيء من مثل هـذا اللون المتطـرف !٠

وهجاء ابن مقرب مزيج من الشتيمة والسخرية ، فكما شـتم ابن الدبيثي وشتم أمه بأقذع الألفاظ ، فهو قد سـخر منـه في

القصيدة نفسها بقارص القول ولاذع العبارة .. من ذلك قوله:

لك لحية كالتيس ما برحـــــت من بولـــه في ناطف تجري
وبها اذا حاضـــت حليلتك الر عنـــاء تعرِف اولَ الطُّهر !
ولسوف يحلقهـــا اخو كرم زاكي الارومة طيب النجر[1]
وهي التي غرتك فابغِ لهـــا بيتا يحصّنهـــــا من الظهر !
واجمع حواليهـــــا ليمنعها ما اسطعتَ من مستحكم الجعر[2]
فلقد اتاهـــــا ماسيتركها مرداء خاليـــــة من الشعر
ولعل ذلك فيه مصلحـــة لك ـ يالئيمُ ـ ونحن لاندري !

وكان ابن الدبيثي هذا أديباً يتعاطى قرض الشعر ، ولكن هذا لم يرق لخصمه ابن مقرب الذي سخر منه ومن شعره في قصيدة تبلغ واحداً وأربعين بيتاً ، وجاء في مطلعها :ـ

قالوا : الدبيثيُّ ذو قـــوافٍ محكمة النظم مســـــتقيمه
فقلت : بُعْداً لكم وســـحقا أكل افهامكم ســـــقيمه ؟!
شـــعر الدبيثي ـ لو عقلتم ! ـ ابرد من امه اللئيمـــه ؟!
هو الذي تعلمون كلب فهل لنبح الكلاب قيمـــه ؟!
انا الى الله من طغـــامٍ تعتقد الفضل في بهيمـــــه !
اللؤم والشؤم منـــــه جزء والغدر والافك والنميمة !

على أن الهجاء ليس بغريب في عالم الشعراء ، حتى المعتدلين منهم ، ولكن الغريب والمعيب أيضا أن يركن شاعر الى هجاء من

---

(١) الارومة والنجر : الاصل .

(٢) الجعر : ما يبس من العذرة في المجعر .

مدح بالأمس ، وقد وقع شاعرنا في هذا المأزق ، كما وقع فيه من قبل شاعر العرب الاكبر أبو الطيب المتنبيء ..

لقد مدح ابن مقرب الملك بدر الدين لؤلؤاً ـ ملك الموصل ـ وقطع أشواطاً في اطرائه وتعداد أمجاده وأفضاله ، بل وطلب منه العون والرفد صراحة في بعض ابيات من قصائده ، مع ما هو معروف عن الشاعر من شيمة النفس والترفع عن طلب أي رفد ، ولكن سرعان ما قلب ظهر المجن لبدر الدين فهجاه ، غير أنه لم يهجه الا بهذين البيتين فقط :ـ

تسلط (بالحدباء) عبد للؤمه بصيرٌ بلى عن كل مكرمة عمي[1]

اذا ايقظته لفظة عربيـــة الى المجد قالت ارمنيته : نَمِ !

وعلى العموم ، فان أشعاره الهجائية هي كما قلنا قليلة ومحدودة لا تعدو الثلاث قصائد ، منها واحدة لا تتجاوز البيتين ، وهي هجاؤه في بدر الدين ، والأخريان في هجاء ابن الدبيثي .

الشوق والحنين :ـ

والشوق والحنين الى الاهل والرفاق والمنازل والديار ومرابع الصبا وأيام الهوى والشباب من الاغراض الشائعة في شعر شاعرنا .. وهذا اللون لن نجده ـ طبعا ـ الا في القصائد والمقطعات التي نظمها وهو في أوطان الغربة بعيدا عن ربوع الاحساء .

لقد فاضت نفسه باللهفة والحنين ، وتجلت في شعره حرارة الاشتياق ومرارة الألم ، وقد طاوعه ابداعه في التعبير عن هذه العاطفة المضطرمة .

كان مرة يعبر نهر دجلة في قارب ، وعن كثب منه ترامى الى مسمعه هديل حمامة ، فأهاج صوتها في فؤاده لواعج الشوق والفراق وأجرى على لسانه أغاني اللوعة والحنين ... فقال :

---

(١) الحدباء : مدينة الموصل .

صبا شوقاً فحنّ الى الديـــار ونازعه الهوى ثوبَ الوقـــــار
وهاج له الغرامَ غنـــــاءُ وُرْقٍ هواتفَ في غصون من نضـــار
صدحـــن غُديَّةً فتركن قلبي وكان الطودَ كالشـــيء الضِّمار
رويداً ياحمـــــام بمستهـــام مشوق مَنَّـــــهُ طولُ السِّفار
براه الشوق بري القِـــدْح جداً فغـــــادره بقلب مستطار
فواعجباً لكنّ تنحن خوف الـ ـفراق ومابدت خيل المِعَـــار
ولم تصـــدع لكُنَّ عصاً ببينٍ ولم تعبث لكُنَّ نوىً بعـــــار

ومنها :

فكيف بكُنَّ لو نيطت شجوني بكُنَّ ونار وجـــديَ وادكاري

وقال يحن ويتشوق الى بلده وقومه وشيء من أيام شبابه :ـ

ياحبذا بلد الحساء فانـــــه ـلو ساءني ـ بلد إليَّ محبب !.
بل حبذا درب (الثليم) وحبذا ذاك القطين بـــه وذاك الملعب !
وكريمة الطرفين ، ذروة وائلٍ آباؤها وجدودهـــا إذ تنسب !
شاطرتها شرخ الشباب ومـــاؤه يجرى ، وجـــذوة نارها تتلهب !

ومن حنينه ، وهو بالعراق ، الى سمره في الجرعاء ، بالبحرين، مع اخوانه واحبابه :

يامنزلَ الحيِّ بالجرعاء لابرحت تهمي بك المزن منهلاً عزاليها [1]
كم لي بمغناك من يوم نعمت بـــه وليلة تعدل الدنيـا وما فيها !!

---

(١) العزالى : المياه المنهمرة .

واهاً لها من ليـــالٍ لو تعود كما كانت .. وأي ليالٍ عاد ماضيها ؟!
لم أنسها مـــذ نأت عني بهجتها وأين غُرٌّ من الأيـــام تنسيها ؟

الغزل والنسيب :

غزل ابن مقرب قليل جداً ، وهو يأتي في مستهل قصائده ليخلص منه الى الغرض الأساسي منها ، على عادة معظم متقدمي الشعراء ، وغزله يبدو باهتاً ومتكلفا وغير عميق .

ولعل انشغاله مع شئون الحياة ، وصراعه في معتركها ، قد أخذ عليه جل تفكيره ، فلذا لم تحتل المرأة من ديوانه الا حيزاً صغيراً جداً . وافتقاد الديوان لهذا العنصر الغنائي الجميل يجعل منه طريقا طويلة خاليـة من محطات الترويح وتخترق مهمهاً مقفرة يحسب لها مجتازها ألف حساب وحساب .

ومن حديثه مع « حواء » قوله :ـ

وبيضاء مثل البدر حسناً وشارة يزين بها السِّبُ المزبرق والاثب[1]
اذا مانساء الحيّ رحن فانهـــا لها النظرة الاولى عليهن والعَقْب
تخير فيها رائق الحسن فاغتـدت وليس لها فيهن شكل ولاترب
بدت سافراً من «درب دينار» والصبا يُرنحها والدّل والتيه والعجب[2]
رأتني فأبدت عن أسيلٍ وحجّبت بذي معصم جَدْلٍ يعض به القُلب[3]
وقالت : غريب والفتاة غريبـة ولا في نـكاح الحل ذام ولا ذنب
فقلت لها : اني ألوف ولي هوى ومالي في بغـداد شعب ولا سرب

(١) السب المزبرق : الخمار المصفر ، الاثب : ثوب يشق وسطه ثم تلقيه المرأة في عنقها من غير جيب .
(٢) درب دينار في بغداد .
(٣) القلب : سوار المرأة .

فقالت : وأين السرب والشعب والهوى ؟

فقلت : بحيث الكر والطعن والضرب !

فقالت : أرى البحرينَ دارَك والهوى

أخاك ، وهذا ما أرى ، فمن الشعب ؟!

ويمضي في هذه المحادثة ليخلص منها الى تعداد أوصاف قومه ومفاخرهم ومناقبهم ، ثم تهتدي مخاطبته اليهم في النهاية :ـ

فقالت : لعمري انهـــا لربيعة بُنَاةُ المعالي لا كلاب ولا كلب !

الوصف :

الوصف من مقاصد الشعراء ، واجادته دليل عمق الشاعرية ودليل بعد الخيال وخصب التصور .. ومع هذا فان هذا الغرض لم يكن له نصيب كبير في الشعر العربي ، بل ورد عرضا في ثنايا القصائد . وشأن ابن مقرب في ذلك شأن شعراء العربية ... ولهذا فمن العسير جداً أن نظفر بوصف متكامل لشيء ما في شعره، فكل ما هناك أبيات قليلة وردت ضمن قصائد معدودة من شعره . ولم يكن هذا الوصف على قلته ، قد قصد اليه الشاعر ، بل جاء كما قلنا عرضا ضمن الموضوعات الاخرى التي تزخر بها قصيدة ما ، تلك الموضوعات التي جاءت بدورها خارجة عن الغرض الأساسي للقصيدة . ومن ناحية أخرى لم يكن هذا الوصف في عمومه جيد الحبك محكم التصوير .

وهذان أنموذجان نحسبهما من جيد وصفه وأوفاه :

١ ـ في وصف المطر :

في قصيدة يمدح بها ابن مقرب الخليفة العباسي الناصر لدين الله، جاء في أوائلها ـ ضمن ما جاء من أغراض ـ مخاطبته لعرصات الدار ، داعيا لها بالسقيا والغيث ، فكان في ذلك مناسبة لان يصف

المزن وهطول الوبل .. والحق أن هـذا الوصف للمطـر ـ على ايجازه ـ جاء بارع التصوير حسن الابداع .. انه يقول :ـ

سقاكنَّ من نوء السماكين عارض ... من المزن، محلول النطاقين دالح [1]

مُلِثّ ، يظل الجأبُ في عنفوانـه ... على النشز وهو السَّحْسح المتمايح [2]

كمسترعفٍ احذى ودنح بعدمـا ... غدا طلقاً واستبدهته المطاوح [3]

وتمسي الرعان القود فيـه كانها ... يعاليل في آذيِّ بحر طوافح [4]

٢ ـ في وصف الخمرة وآثارها :

قال في مستهل قصيدة مدح بهـا أمير البصرة شمس الـدين باتكين ، مخاطباً شخصاً تخيله كعادة الشعراء ، طالبا اليه ان يسقيه شيئا من الصهباء ، متخذاً من ذلك سبيلا الى وصفها ووصف بعض شئونها وما تخلفه من آثار .. وهذا الوصف ، هو الآخر ، غرض من الأغراض التي أتى عليها الشاعر في مستهل القصيدة ليخلص بعدها الى غرضه الأساسي وهو المديح ـ قال :ـ

قم فاسقنيها قبل صوت الحمـامْ ... كَرْمِيَّـةً تجمع شمل الكـرامْ !

صهباء مـما عتقت بابـل ... مزاجها الاري وماء الغمامْ [5]

---

(١) محلول النطاقين : كناية عن تدفق الماء ، دالح : كثير الماء .

(٢) الملث من المطر : الدائم ، الجأب : الحمار أو الاسد الغليظ ، النشز : المكان المرتفع ، السحسح : المنهمر ، المتمايح : المتمايل .

(٣) المسترعف من الخيل : الذى يتقدمها ويسـبقها ، أحذى التراب فى وجوههم : حثاه ، دنح : ذل ، استبدهنه المطاوح : فاجأته المهالك .

(٤) الرعان جمع رعن وهو خشم الجبل ، اليعاليل : الحباب ، آذى البحر : موجـه .

(٥) بابل : مدينة فى شمال العراق وكانت عاصمـة البابليين ومشهورة بجودة صناعة الخمور .

مما أُديرَ الكأسُ منهـــا على كسرى ونمرود ابن كوش بن حام[1]

لو احتساها (ابن الزبير) اغتدى أكرم من كعب وأوس بن لام[2] !!

تذهب باليأس وتدنـــي المنى وتنشر اللهو وتطوي الغـــرام

أو ذاقها المنزوف ضَرْطاً لما هاب ابن ذي الجدين يوم الزحامْ[3]

★ ★ ★

تلك أهم الأغراض الشعرية في ديوان ابن مقرب ، وقد ضربنا عليها الأمثلة بشيء من شعر الشاعر ، ومن خلال هذه النماذج التي عرضناها والنماذج التي سنعرضها في مجالات أخرى للتدليل على ناحية من نواحي الشعر لديه ، من خلال هذه وتلك نستطيع أن نخرج برأي مجمل في هذا الشعر ، فلن نجد حرجاً اذا ما وصفنا شعر ابن مقرب بقوة الشاعرية وأصالة البيان وبفخامة الأسلوب وجزالة التعبير ، ولا اذا ما وصفنا ابن مقرب نفسه بأن ثروته اللغوية واسعة ثرة ، وبأنه واسع أفق الثقافة الاسلامية ويحيط بجوانب جمة من التاريخ ولا سيما ما يتعلق منه بشرقي الجزيرة وبسواحل الخليج العربي . فلقد جاء شعره سجلا لتاريخ البحرين والدولة العيونية ، ولولا هذا الشعر لخفي علينا جزء كبير من هذا التاريخ ، فهو ـ بشعره ـ كما قال :

كسوتُ قومي والبحرين ثوبَ علا يبقى جديداً بقاءَ (الحوت) و(الحمل)

---

(١) هو نمرود بن كنعان بن كوش صاحب الموقف المعروف مع النبي ابراهيم عليه السلام .

(٢) ابن الزبير : يقصد عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، وقد عرف بالبخل ، لشدة حرصه على أموال المسلمين وعلى عدم التفريط فيها .

(٣) المنزوف ضرطا : رجل مشهور بالجبن ، رأى مرة وهو بالفلاة شجرة عن بعد فظنها قوما يرصدونه فخاف على نفسه وجعل يضرط حتى مات !!

بين ابن مقرب والشعراء

لا شك أن هناك شيئا من الصلة الشعرية بين ابن مقرب وغيره من الشعراء المتقدمين ، وضروري أن هذا الشاعر قد درس شعر هؤلاء أو شعر المشاهير منهم فتأثر به أيما تأثر ، تأثر به في المعاني وفي التراكيب والأساليب ، وهـذا التأثر يبدو واضحـاً في بعض أبيات الشاعر ٠

ونحسب أن المعاني المسبوق اليها شاعرنا والتي وردت في شعره جاءت عفواً ومن باب توارد الخواطر ٠ ولقد عرف تاريخ الأدب العربي توارد الخواطر لدى الشعراء منذ القديم ٠ وقد حام حول هذه النقطة كثير من نقاد الادب والباحثين فيه ، فجالوا بنظراتهم ويراعاتهم في ذلك كثيراً ، وكانت النتيجة أنها ـ أى هذه النقطة ـ باتت « نظرية » لا مندوحة حقا من التسليم بها والاعتراف بأنها شيء وان « السرقة » شيء آخر ٠

وبحكم كرور الايام ، وتعاقب الملابسات والمناسبات ، ورد على لسان اكثر من شاعر واحد معان موحدة أو متشابهة الى حد ما ٠٠ سواء مع معاني الشاعر نفسه أو مـع معاني غيره من الشعراء ٠ وقد فطن لذلك ـ قديما ـ الشاعر عدي بن الرقاع حين قال :ـ

وقصيدة قدبتُّ أجمـــع بينها حتى أقوّم ميلهـــا وسنادها

وزهير بن أبي سلمى في قوله :ـ

ما أرانـــا نقول الا معاراً أو معـــاداً من قولنا مكروراً

وعنترة بن شداد في مطلع معلقته : ـ

هل غـادر الشعراء من متردم ؟ ام هل عرفت الدار بعد توهم ؟!

فليس بغريب ـ اذن ـ أن يأتي شـاعرنا ابن مقرب بمعـان سبقه اليها غيره وأن يضمن بعض أبياته الشـعرية آراء وافكار وأخيلة وتصورات اكتشفتها مواهب متقدميه ٠

وسنحاول هنا ، ولو على عجل ، أن نلقي ضوءا على هذه العلاقة الشعرية بين ابن مقرب وغيره من الشعراء المتقدمين عليه والذين سبقوه الى بعض المعاني أو قريب منهـا ، موردين لذلـك بعض الأمثلة ، للمقارنة والموازنة ، وقاصدين من وراء هذا كله معرفة مدى تأثر الشعراء ببعضهم وأن الأدب يوحي بعضه ببعض ، ثـم لنتخذ من ذلك سبيلا لمن أراد أن يعرف مكانة شـعر شاعرنا من الشعر العربي على وجه التقريب والاجمال ..

صلته بالشعراء الجاهليين :

اذا درسنا شعر ابن مقرب دراسة وافية شاملة ، فاننا نستطيع الجزم بأنه كان مطلعا على أشعار الجاهليين وقارئاً لها قراءة تضلع وادراك ، فصور الشعر الجاهلي كثيراً ما نلتقي بمثل لها في شـعر ابن مقرب ، وظواهر البادية التي حفل بها شعر الجاهليين كثيرا ما تتمثل في شعر هذا الشاعر .

ولنأخذ بعض الامثلة :ـ

١ ـ يقول ابن مقرب في مطلع قصيدة يمدح بها الأمير أبا ماجد محمداً بن أحمد بن أبي سنان :ـ

أمِنْ دمنةٍ بين (اللوى) و (الدكادك)
شُغفتُ بتذراف الدموع السوافك
عفت غيرَ آريٍّ وأورقَ حائـلٍ
واشعث مشجوج وسُفْع روامك[1]
ونؤىٍ كجـذم الحوض غيَّر رسمه
وجيف الحصا بالموجفات الحواشك[2]

---

(١) الآرى : مرابط الخيل ، والاورق الرماد ، الاشعث المشجوج : الوتد ، السفع : الاثافى ، الرمكة : لون الرماد .
(٢) النؤى : الحفير حول الخباء لمنع السيل ، الجذم : الاصل ، الوجيف : الاضطراب ، الرياح العواشك : الشديدة .

مطلع القصيدة جاهلي بحت ، فالقصيدة قيلت في المدح ، والشاعر ابتدأها بذكر الدمن والأطلال التي عفت وما الى ذلك ٠٠ والتراكيب والصور جاهلية خالصة ، ومعالم الصحراء والبادية تغمرها ٠٠ ولو قرأ هذا الشعر أديب ناقد ـ دون أن يعرف صاحبه ـ لألحقه بالشعر الجاهلي دون تردد ٠

وهذه الأبيات تذكرنا بأبيات لزهير ابن أبي سلمى قالها في مطلع معلقته وهي :ـ

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدَّراج فالمتثلم

وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأياً عرفت الدار بعد توهم

أثافي سفعاً في معرس مرجل ونؤياً كجذم الحوض لم يتثلم

ففي أبيات ابن مقرب شيء من المحاكاة لأبيات زهير ٠

٢ ـ ويقول ابن مقرب :ـ

ولست بيهفوف يرى راي عرسه متى اركبته مركباً هو راكبه

يظل اذا ماناب الامر محجزاً يخاطبها في شأنها وتخاطبه

ويقرب من هذين البيتين في المعنى بيتان للشنفرى ، ضمن لاميته الشهيرة ، وهما :ـ

ولا شارفٍ داريةٍ نحو عرسه يروح ويغدو داهناً يتكحل

ولا فَنِقٍ هَبْقٍ كأن فؤاده تظل به المكَّاء تعلو وتسفل

ولكننا نجد في بيتي ابن مقرب شيئا من طراوة الحاضرة ، بعكس بيتي الشنفرى اللذين أوحى بهما خيال البادية وقسوة الصحراء ٠٠ وابن مقرب قد اطلع على شعر الحاضرة ايضا وعاش في بيئة حضرية بدوية مزدوجة ٠

٣ ـ يقول ابن مقرب :ـ

بلى ؛ إن ظلم الأقربين وجدته اشدّ على الأحشاء حرّاً ولاهباً

وهذا يذكرنا ـ على الفور ـ بقول طرفة بن العبد :ـ

وظلم ذوى القربى اشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

على أن بيت طرفة هو أقرب الى الطبع العربي ، فالعربي كان شديد الاعتزاز بقومه وعشيرته ، وهو يعتبرهم درعه وسنده وساعديه ، فاذا ناله منهم أذى أو ضيم افتقد في حياته شيئاً كبيراً وتقطع حسرة وكمدا وفضل الموت على حاله معهم .. واذا قال طرفة ان ظلم ذوى قرابته له يفوق ضربة السيف فهو يعبر عن طبع عربي يرى في هذه الضربة أمراً يسيراً بالنسبة لضربة القرابة له . وهذا الطبع نجده أقل حدة عند ابن مقرب الذي اعتبر ظلم الاقربين له حرا ولهبا تصطلي به احشاؤه دون أن يكون هذا الظلم أشد على النفس من وقع المهند . على أننا قد نقول ان ابن مقرب قد لحظ أن اضطرام الاحشاء ولهيبها يعطي صفة الديمومة في العذاب والشقاء ، على عكس ضربة السيف التي تعقبها الراحة والاستراحة ، وحينئذ فان ابن مقرب من هذه الناحية ـ قد فاق طرفة وبزه .

تأثره بالاسلاميين والامويين :ـ

على أن تأثره بشعراء صدر الاسلام وبشعراء عصر بني أمية لم يكن كبيراً اذا ما قيس بتأثره بشعراء الجاهليين أو بشعراء العهد العباسي .. ولا يمنعنا ذلك من أن نورد مثالين أو ثلاثة على هذا التأثر .

١ ـ يقول ابن مقرب في مقام التنديد والهجاء :ـ

عُمْيٌ عن الاحسان الا أنهم أهدى الى لؤمٍ من الزرقاء

وهو ـ في هـذا البيت ـ يلتقي ، من حيث المعنى مـع عبد الرحمن بن حسان حيث يقول في مقام الهجاء أيضا :ـ

اذا هي[1] حثتـه على الخير مرةً عصاها ، وان همت بشر أطاعها

فابن مقرب يقول عن مهجويه أنهـم لا يعرفون سـبل البذل والاحسان ولكنهم يعرفون ، تمام المعرفة ، سبل الشح واللؤم ٠٠ وقد جاء بيت عبد الرحمن بن حسان أشمل وأوفى من بيت ابن مقرب حيث قال عن مهجوه انه يأبى الخير وينقاد للشر ٠ والخير يشمل الاحسان وغيره كما ان الشر يشمل اللؤم وغيره ٠ هـذا علاوة على أن عبد الرحمن بن حسـان قـد جعل من « نفـس » المهجو دافعاً له الى الخير ومع ذلك فهو يأبى الا انتهاج مهيع الشر ٠ ثم ان اسـتهلال عبد الرحمن بن حسـان للجملتين المتقابلتين بكلمتي (اذا ، ان) قد أضفى على البيت سحراً بلاغياً ملحوظاً٠

٢ ـ ويقول ابن مقرب :ـ

ألا ليت شعري هل اتا كم على النوى تصافي نزار بينها وا صطحابها !؟

فقـد دفنت تلك الحقود وأُطفئت لوا فح غلٍ في الصـدور التهابها

واضحت ، بحمد الله ، لا السر بينها مذاعاً ، ولا تدأى لسود ذئابهـا

ولا الخائن الخب المماذق عندهـا مطاعاً فيخشى صدعها وانشعابها

هذه الأبيات تقرب معانيها من قول ابن الزبعرى بعد اسلامه :

مضت العداوة وانقضت أسبابها وغدت أواصـر بيننا وحلوم

ومع أن قول ابن الزبعري موجـز ، فقـد جاء جامعا للغرض وشاملا للمقصود ٠٠ ولم يكن في التفصيل الذي انتحاه ابن مقرب أي ميزة في المعنى أو الأسلوب ٠

(١) الضمير هنا يعود على كلمة « نفس » فى البيت السابق وهو :
أبى لك كسب الحمد رأى مقصر ونفس أضاق الله بالخير باعها

٣ ـ يقول ابن مقرب :ـ

خلوا الفخـــار لمعشر أولوكمُ ذُلَّ الهوان بغلظة وجفـــاء

ويقـول الأخطل :ـ

خلوا الطريق لمعشر عاداتهـــمْ حطم المناكب عنـــــد كل زحام

وعلاوة على الترادف المعنوي الواضح بين البيتين ، فهنا أيضا تقارب لفظي واضـح أيضـــا بينهما في الشـــطرين الأولين ٠ والبيتان ـ على ما نحسب ـ متكافئان في المعنى عموما ، وان كان لكل منهما ميزته ٠٠ فابن مقرب يهزؤ بالمخاطبين لأنهـم ليسوا اكفاء للفخار ويقول لهم : دعوا الفخار لأولئكـم الذين اذلوكـم وأهانوكم بقوة وقسوة فهـم أكفاء للفخار حقـا ٠ فهـــو يجعل الفخار لمن يجب أن يكون لـه ٠ أما الأخطل فهـو يجعل الطريق ـ وهو يعني الفخار ضمنا ـ لأولئك الـذين من شأنهـم ـ عند التحامهم مع خصومهم في أي معـركة ـ امتلاك ناصيـة هـــذه المعركة ٠٠ كما أن استعماله كلمتي (عاداتهم) و (كل) يجعل للشجاعة والنصر صفة الديمومة ٠

تأثره بشعراء العصر العباسي :ـ

لا نشك أبداً أن ابن مقرب قد اطلع على شـعر شعراء العصر العباسي ، ولا سيما مشاهيرهم وأن هذا الاطلاع قد طبع في شعر شاعرنا تأثراً واضحاً ٠ ولكن شيئاً واحداً مما ساد شـعر بعض هؤلاء ـ ونعني به الفلسفة ـ لم يكن له أثر في شعر ابن مقرب ٠ فهو ليس بفيلسـوف في الشـــعر ولا بعيـد التصوير والتعليل والتخريج في قوله ٠ وهو قـــد تأثر ـ على وجـه الخصوص ـ بشاعر العربية الأكبر أبي الطيب المتنبيء تأثراً بالغاً في الأسلوب والمعنى ٠

وهاك أمثلة من العلاقة الشعرية بين ابن مقرب وبعض شعراء هذا العصر :ـ

اذا السيد الجبـــار أبدى تعامياً وصَعَّر خداً واستباح حمى المَطْل[1]

أضاءت له أسيافنا فَهَدَيْنَـــــهُ وقَوَّمْنَهُ فاستبدل الحلم بالجهل

وقد سبقه الى هذا المعنى بشار بن برد في قوله :ـ

اذا الملك الجبار صَعَّر خَـــدَّهُ مشينا اليـــــه بالسيوف نعاتبه

وكما أن بشاراً قد أدى المعنى بصـــورة مركزة وافية موجزة ، فان ابن مقرب ـ أيضا ـ مع اطنابه ، قـد وفق الى تعبير بلاغي بياني بارع حينما قـال : (أضاءت لـه أسـيافنا فهدينه) فان استعارة (الاضاءة) و(الهداية) بمعنى (التهديد) و(الانقياد) هي استعارة موفقة وملائمة للمقام . ثم ان استعمال جمع القلة في قول ابن مقرب (أسياف) ـ بدلا من جمـع الكثرة في قـول بشار (السيوف) ـ فيه اشارة من طرف خفي الى أن عملا يسيراً يقوم به قومه الأشداء كاف جداً لأرهاب مثل هذا الجبار ورجوعه عن غيـه .

٢ ـ يقول ابن مقرب في مقام وصف معركه :ـ

غداة أتاهم في سماء عجاجـــــة أسنته من تحتهـا كالكواكب

ويقـول أيضـا :ـ

والبيض في ايدي الكماة ضياؤها يطفو مراراً في الغبـار ويرسب

وكأن اطراف الأســـنة انجم شهب وداجي النقـــع ليل غيهب

وهذه الصورة الوصفية التمثيلية سـبق اليها بشـار بن برد أيضا حين قال وأبدع :ـ

---

(١) المطل : التسويف بالعدة والدين

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ، ليل تهاوى كواكبه

أما البيت الأول لابن مقرب ، فهو مسخ لمعنى بيت بشار . وأما البيتان الآخران ـ وهما يتفقان مع بيت بشار في المعنى وفي صور التركيب تقريبا ـ فهما يسموان ، دون شك ، على البيت الأول في احكام التعبير وجودة التصوير . ومع أنهما كذلك فهما دون تعبير بشار . ولعل سر الجودة في بيت بشار هو تعبيره بالفعل المضارع (تهاوى) الدال على التجدد ، وكذلك اجماله للصورة التمثيلية حيث شبه عجاج الحرب من فوق رؤوس المتحاربين والسيوف يهوى بها هؤلاء يميناً وشمالا ، فوق وتحت ، بالليل البهيم تتساقط نجومه . فهو هنا انما يشبه صورة متعددة الأبعاد والحركات والملامح والمناظر والألوان بصورة أخرى كذلك . أما ابن مقرب فهو يكتفي بتشبيه أطراف الاسنة بالنجوم وتشبيه الغبار الشديد بالليل الغيهب ، فهو يشبه مفرداً بمفرد . ولهذا فهو لم يوفق توفيق بشار في انتزاع وجه شبه واحد لصورة تمثيلية متحدة .

٣ ـ يقول ابن مقرب في مدحه لأحد بني عمه الامراء :ـ

اذالم أَنُطْ مستعصما برجائه رجائي،وتُروي تُربَ ارضي سحائبه
فأيّ مليك ارتضي وتؤمه ركابي وأمشي نحوه واخاطبه ؟!

وهذا يساوي في المعنى قول أبي نواس في الخصيب ، أمير مصر :ـ

اذالم تزر ارض الخصيب ركابنا فاى فتىً بعد الخصيب تزور ؟!
فما جازه جود ولاحل دونه ولكن يسير الجود حيث يسير !

٤ ـ ويقول ابن مقرب :ـ

« والمندل الرطب في اوطانه حطب »

وهو يطابق ، تمام المطابقة ، قول الشافعي ـ على ما أظن ـ:

« والعود في ارضه نوع من الحطب »

٥ ـ ويقول ابن مقرب :ـ

ولو أجرضت منك بغير ريقي لكان باعذب الماء اعتصاري[1]

وقد سبقه الى هذا المعنى ، وبنفس التركيب تقريبا ، الشاعر أبو نواس في قوله :ـ

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري !

٦ ـ يقول ابن مقرب :ـ

اذا هم أمضى همه لو تساقطت أكف واقدام لذاك وهام

ويقول ايضا :ـ

وما بلغ العلياء الا ابن حرةٍ قليل افتكار في أمور العواقب

وقد قال أبو الطيب المتنبيء من قبل :ـ

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكّب عن ذكر العواقب جانبا

وقولا ابن مقرب يتفقان تماما في المعنى مع قول المتنبيء . واذا كان ابن مقرب قد اجاد الاداء ، وخاصة في بيته الثاني ، فانه ـ على أية حال ـ قد قصر في التصوير البياني وفي جودة البناء العضوي للمعنى عن أبي الطيب الذي كان بارعا في ذلك

---

(١) أجرضه بريقه : أغصه ، والاعتصار ان يغص الانسان بالطعام فيعتصر بالماء أى يشربه قليلا قليلا ليسيغه .

أيما براعة . انظر الى جمال التعبير في قوله :ـ « القى بين عينيه عزمه » و « نكب ... جانبا » .

٧ ـ يقول ابن مقرب في حديثه عن حبيبه :ـ

أهوى زيارته وأخشى دونه خَزْرَ اللواحظ من ذوي رقبائه[1]
وأصد عنه اذا التقينا خشية من كاشح طاوٍ على شحنائه

ويقول المتنبيء :ـ

حاولن تفديتي وخفن مراقباً فوضعن أيديهن، فوق، ترائبا

والفرق بين القولين أن ابن مقرب كان هو نفسه الذي يتعمد الصدود خشية الرقباء ، أما المتنبيء فان صاحبته أو صاحباته هن اللائي يتحاشين الرقباء ..

٨ ـ وقال ابن مقرب مادحاً تاج الدين ابراهيم بن محمد :ـ

بمعاديك ـ لا بك ـ الأسواءُ ولحسادك الثرى ، لا الثراء !

ويقول المتنبيء مادحاً سيف الدولة :ـ

المجدُ عوفي ، اذ عوفيتَ ، والكرمُ وزال عنك الى اعدائك الألمُ

والتقارب هنا واضح جداً . والبيتان متكافئان حقاً .. وهذه القصيدة لابن مقرب كثر فيها الترادف مع بعض معاني قصيدة المتنبيء .

٩ ـ يقول ابن مقرب :ـ

فوأسفاً ان متُّ لم أوطِ أرضكم كتائب خيل تهتدي بكتائب !

---

(١) الخزر : النظر بلحظ العين .

وعجز هذا البيت يحاكي في متنه وتعبيره عجز قول المتنبيء :ـ

اذا ما سروا بالجيش حلّق فوقهم عصائب طير تهتدي بعصائب

١٠ ـ ويقول ابن مقرب :ـ

جود الاكارم اخبار، وجودهما شيء تراه ،وليس الخُبْرُ كالخَبَرِ[1]،

فهل تراه قد تأثر بالمتنبيء في قوله بعد خروجه من مصر غاضبا:

جود الرجال من الايدي،وجودهمُ من اللسان، فلا كانوا ولا الجود..!؟

لا شك أن التأثر واضح ..

١١ ـ يقول ابن مقرب :ـ

وما العز الا في صهاكل سابحٍ وما المال الا في شبا كل قاضب

ويقول المتنبيء :ـ

اعز مكان في الدنا سرج سابحٍ وخير صديق في الزمان كتاب

فالمعنى مترادف تماما في الشطرين الاولين من بيتي ابن مقرب والمتنبيء .

١٢ ـ ويقول ابن مقرب في مقام الفخر والحماسة :ـ

ياندييَّ اتركاني واذهبا ليس وادي الذل للحر بوادي

طال لبثي بين مولى خاذل ومعاد وصديق كالمعادي

تمضغ الايام لحمي عبثا ليس بعد المضغ غير الازدراد

---

(١) الخبر ـ بالضم ـ : ما عرفه المرء بنفسه ، والخبر ـ بالفتح ـ ما سمعه من الناس .

ما انتظـــــاري برؤوس أينعت ليس هذا الينـــــع الا للحصـاد
لأقيمنّ لابنـــاء الوغـــــــى سوق اقدام وطعن وجـــــــلاد
إن يكن عزاً والا فـــــردى لست من دون (شبيب) و (مصاد)[1]

ويقول المتنبيء في هذا المقام ايضا :ـ

أذاقني زمني بلوى شرقت بهـا لو ذاقهـا لبكى ماعـاش وانتحبا
وان عمرت جعلت الحرب والدةً والسمهريّ اخـا والمشرفيّ ابـا
بكل أشعث يلقى الموت مبتسماً حتى كأنّ له في قتلـه اربـا
قح يكاد صهيل الخيل يقذفـــه عن سرجـه مرحاً بالغزو او طربا
فالموت أعذر لي والصبر اجمل بي والبر اوسـع والدنيـا لمن غلبا

فهنـا تقارب في الروح والفكـر بين الشـاعرين ، وتوارد في النفس والهاجس ، واذا كانت أبيات ابن مقرب من قبيل السـهل الممتنع ـ وهو طبع لدى بعض الشـعراء ـ فان أبيات المتنبيء تتسم بالفخامة والجزالة وتكسوها هيبة الشهامة والقوة والعزم .. ويبدو التصميم فيها أكثر منه في أبيات ابن مقرب .. علاوة على أن البؤس لا أثر له في شعر المتنبيء هذا .

١٣ ـ ويقول ابن مقرب :ـ

عذل المشوق يهيج في برحائـه ويثير نار الوجـد في حوبائـه
فاترك ملامته ودعـــه وشانه في نوحه وحنينـــــه وبكائه

---

(١) شبيب بن يزيد الشيبانى أحد الخارجين على بنى أميـة ، ومصاد هو أخوه ، كانا من الدهاة والطموحين الى السيادة .

ويقول المتنبيء :ـ

عذل العواذل حول قلب التائه وهوى الاحبة في سويداوائـــه

يشكو الملام الى اللوائم حره ويصد حين يلمن عن برحائه

فالمعنى واحـــد تقريبـــا ، الا أن المتنبيء أحاطـه بشيء من الفلسفة ، فابن مقرب لم يزد على القول بان عذل المشوق يزيد نار وجده التهابا فأتركوا لومه أيهـا العذال • أما المتنبيء فهـو يقـول : ان مكان العذل لا يعدو حاشـية القلب وحواليه ، أمـا سويداء القلب ـ أى صميمه ـ فهي مكان الهـوى والحب ولذا فان اللوم لن يكون له أي أثر ، زد على ذلك أن لوم العذال يشكو من حر قلب المشوق ويخشى من احتراقه بناره فهـو لا يرغب في ملامسة هذا القلب •• وهكذا فلسف لنـا المتنبيء عدم الجدوى من عذل العذال ••

ويلاحظ القارىء اتفاق القافيـة والوزن بين المتنبيء وابن مقرب هنا ••

★ ★ ★

وبعـد ••• فان هـذه النماذج التي أوردناها ـ على سـبيل المثال ـ لتأثر ابن مقرب بمتقدميه ، قـد يكون فيهـا شيء من الملامح الفنية أو الموضوعية التي قـد تقرب الى اذهاننا صـورا للروح الشـعري عند ابن مقـرب ومعالم للمنحى الفني لديـه ولقيمة شعره بين غيره •

ان ابن مقرب ـ كأي شاعر آخر ـ قـد تأثر بمن تقدمـه من شعراء العربية ، فهو ـ دون شك ـ قد قرأ كثيراً من أشعار هؤلاء واستظهره وأحاط به • وهـذه القراءة أو الاحاطة قـد أسهمت ـ دون شك أيضا ـ اسهاما حسنا ملحوظا في تكوين شاعريته وفي تحديد رسومها وأبعادها •• ولكن ذلك كله لا يعيب قدر شاعرنا ولا يشين شعره ، فتلك سنة الشعراء منذ قديم العهد وعلى نحو ما فصلناه في صدر هذا الفصل •• ومن ناحية أخرى فان ديوان

ابن مقرب يحوي تعابير أصيلة سليمة وتراكيب بارعة جزلـــة ويضم بين دفتيه شتيتا من جيد المعاني المبتكرة ورائع الايحاءات الخاصـــة ٠

هذا ، وان ما أوردناه لشاعرنا من أبيات قارناها بأبيات لغيره ترادفها في المعنى أو تلتقي معها في صورة التركيب ، هي أبيات لم نقصد اليها قصداً ولم نتعمد اختيارها تعمدا ٠٠

وان وجـود بيت أو بيتين في قصيدة أو في عـدد من القصائد سبقه الى معناه أو معناهما متقدموه لا يعني ـ اطلاقا ـ ضعفا في شاعريته ولا فتورا في تخيله ولا تقليدا لسواه ، وانما هي ـ كما قلنا ـ سنة الفكر مع الايام ومع المناسبات ، لم يسلم منها شاعر ولم يخلص منها مفكر ٠

وكما تأثر ابن مقرب ببعض متقدميه ، فانه هو بدوره قد أثر في بعض لاحقيه من الشعراء ٠٠ ويكفي أن نتمعن قليلا في شعر أحمد بن علي بن مشرف الاحسائي (المتوفي سنة ١٢٨٥ هـ) وفي شـعر محمـــد بن عبد الله بن عثيمين النجدي (المتوفي ســـنة ١٣٦٤ هـ) لندرك هذا التأثر القوي لابن مقرب فيهما ٠

واذا جاز لنا ـ بعـد هذه المقارنات الخاطفـــة ـ أن نصنف شاعرنا في طبقات الشعراء وان نتلمس لـه موقعاً يتلائم مـــع شاعريته ، فاننا لا نجد حرجاً في القول بأنه يسمو في قوة عباراته وخصب تصوره وجودة معانيه وعلو أغراضه على متوسطي شعراء العربية ولكنه ـ على أية حال ـ لا يسمو الى مرتبة الفحول ٠ وهو بالنسبة الى عصره الذي عاش فيه يمثل ـ دون مواراة ـ الذروة في الشعر ٠

مكانة شعر ابن مقرب الصنهاجية

أهميته التاريخية :

لديوان ابن مقرب أهمية أخرى خاصة لا تقل عن أهميته الشعرية ، فالقارىء لهذا الديوان يخرج منه بفكرة شاملة للحياة السياسية بالبحرين في زمنه ، كما أنه يمكن للباحث في شعر هذا الشاعر أن يتلمس من خلاله بعض صور الحياة العامة المعاصرة له ٠

ان شعر اسن مقرب يكاد يكون وحده ـ بالنسبة لتاريخ الدولة العيونية خاصة وتاريخ الجزء الشرقي من بلاد العرب عامة ـ هو أحد المصادر المباشرة التي تمدنا بوصف كامل للصراع على السلطة والحكم في تلك الحقبة من الزمن، ويذكر لمعظم الحوادث التي وقعت في ذلك الجزء ، مما نجزم معه أنه لولا شعر ابن مقرب لضاع ذلك التاريخ أو معظمه ٠

نظرة واحدة في ديوانه قد تبرز لنا هذه الحقيقة ٠ وفي الفصل الذي عقدناه عن تاريخ البحرين والدولة العيونية ايضاح لهذا أكثر فيحسن الرجوع اليه ٠

ومن شعر ابن مقرب نستخلص فوائد تأريخية دقيقة اهملها المؤرخون ولم يتطرقوا اليها من قبيل أو دبير ٠

ذكره لقبيلة هتيم وعاداتها :ـ

من ذلك ـ مثلا ـ ذكره لقبيلة (هتيم) في معرض الضعة والتحقير ٠ والكتب القديمة التي بين أيدينا ، من قواميس اللغة وكتب الانساب ، لا تمدنا بما نحتاج الى معرفته عن هذه القبيلة بل لا تذكر حتى اسمها ـ وان ذكرت قبيلة تدعى بهذا الاسم من بني ظفر من الاوس ـ ولكن ابن مقرب وابن المشد ، من شعراء القرن السابع ، ذكراها ٠

ومن شعر ابن مقرب :ـ

وكيف مقامي بين اوباش قرية ... ارى الراس منها من بها كان اسفلا

بني عم من امسى كثيراً سوامه ... ولو كان ادنى من (هُتَيْمٍ) وارذلا!

وعرض ببعض عاداتها الوضيعة :ـ

فان (هتيما) لوحوت مال طيءٍ (هتيم) فلا يغررك طيفُ خيال

سترجع فيما عُوِّدَتْ من حميرها وتحريق «إشنان» وخصف «نعال»

ولا تزال بعض أحياء هتيم معروفة عند قبائل العرب بالخمول وسوء القدر وضعة الحال وبالتقهقر الاجتماعي والمعيشي ٠

وربما تلمسنا في شعر ابن مقرب معرفة بعض أنواع اللبس والأكل المستحبة وغير المستحبة في زمنه ٠٠ أليس القائل مثلاً:ـ

ومن (مرزوي) بالقطيف و(لالسٍ)

(عباءٌ) بوادي طيءٍ و (نطوعُها)

ومن لحم (صافٍ) في اوالٍ و (كَنْعَدٍ)

(ضبابٌ) و (جرذان) كثير خدوعُها[1]

ذكر الامكنة :ـ

واحتفظ لنا شعر ابن مقرب ببعض المسميات السائدة في زمنه لبعض المواقع ٠

وان ذكره لأسماء كثير من الامكنة والمواضع ، في زمانه لمما يساعد على تحقيق المواقع الجغرافية ومعرفة مدى التقدم العمراني ، وخاصة ما كان في البحرين وساحل الخليج العربي ، مثل: الحساء، الكثيب، العيون، حلوان ، الخط، صفواء ، الظهران، الخائس ، أوال ، نار برد ، الجرعاء ، يبرين ، الثليم ، ستره ، المرزوان ، كرزكان ، ثاج ، قطر ، هجر ، المزار ، الرمل ، نزوى ، الجبش ، الجبل ٠٠٠ الخ ٠

(١) البيتان متعلقان بما قبلهما من أبيات والتقدير : فخير من المرزوى واللالس عباء ونطوع ، وخير من لحم الصافى والكنعد لحم الضباب والجرذان، وذلك طبعا على سبيل الانقة والاستنكار ٠ والمرزوى واللالس نوعان فاخران من الثياب ٠ والصافي والكنعد نوعان من السمك ٠

قال يصف غارات البدو على الاحساء وما ألحقوه بها من أضرار ونكبـات :ـ

أخذوا (الحساء)من(الكثيب) الى (محاديث العيون)الى نقا(حلوان)

و(الخط)من(صفواء) حازوها فما أبقوا بها شبراً الى (الظهران)

والبحر فاستولوا على مافيه من صيـــدٍ الى درٍ إلى مرجان

وأمض شيء للقلوب فضائـــع «بالمرزوان» لهم و «كـرّزكان»

وقال ، من افتخاره بالأمير فضل بن عبد الله بن علي :ـ

منا الذي حازمن (ثاج) الى (قطر) وصيرّ «الرمل» من مال العدو حمى

وقـال :ـ

منا الذي عام حرب «النائلي» جلا يوم«السُّبَيْع» ويوم «الخائس»الغـُمما

وقـــال :ـ

ياساكني«الخط»و«الجرعاء»من «هجر»

هل انتظاركمُ شيئاً سوى العطب؟!

وورد في شعره ، ذكر بعض عيون الأحساء .. ومن ذلك عين (الجوهرية) المعروفة ، قال :ـ

فخيرٌ لعمري من بساتين «مرغم» على ذي المجاري طلح«نجد»وشوعُها

ومن ماء نهر «الجوهرية» لوصفا ذبابـة حَسْي لا يُرجَّى نبـوعُها

ومن اسماء الأمكنـة والمواضع الواردة في شـــعره ، في غـير البحرين والخليج العربي : نجد ، العراق ، حلب ، أدم ، اللوى، الدكادك ، مصر ، واسط ، الموصل ، بغـداد ، غمدان ، سبأ ، الحصيب ، صنعاء ، الرعيناء ، الدهنـاء ، خورستان ، القنـا ، الشحر ، النقب ، نعمان ، ثبير ، أشي ، ملهم ، نعـام ، رضوى ، .. الـخ .

قال ، من فخره بالأمير محمد بن أبي الحسين :ـ

منا الذي صحب المجتاز من «حلب» الى «العراق» الى «نجد» الى «ادما»

وقال ، من فخره بعشيرته :ـ

أطاعت لهم مابين «مصر» الى « القنا »

الى حيث تلقى دارها «الشحر» و« النقب »

وقال في المدح :ـ

ولونام «سيف» «بالحصيب» ولم يلج على الهول لم يُدْعَ المليك الممجَّـدا

ولم ينشع «الأحبوش» كأسا مريرة ويجمع في «غمدان» شملا مبددا

وقال في مطلع قصيدة :ـ

ألا رحلت «نعم» وأقفر «نعمان» فبح بأسى ان عز صبر وسلوان

وقـــال :ـ

أمن دمنةٍ بين «اللوى» و«الدكادك» شغفت بتذراف العيون السوافك

وقـــال :ـ

مَلْكٌ تحمَّل مالا يستطيع لـــه حملاً « ثبيرٌ » و« ثهلان» فيحتملُ

وقال في العتب :ـ

فخيرٌ من «الأحساء» ان دام عتبكم «أشيّ» ووادي «ملهم » « ونعام»

وقال مادحاً :ـ

يهز حساماً صارماً لو رمى بـه شماريخ «رضوى» لانزوى عن هضابهِ

هَنَاتٌ هَيِّنَاتٌ

ومع ما قلناه عن شعر ابن مقرب وما فيه من جودة في اللغة ومتانة في الأسلوب وقوة في التعبير وعمق في التفكير ، فانه كثيراً ما تعتوره بعض الهنات ·· ولكنها هنات هينات ، فهي لا تضيره ولا تنال من شاعريته ، علاوة على كونها معدودة وقليلة ، ويكفي المرء نبلا أن تعد معايبه كما يقول الشاعر الآخر ·

وهذه الهنات الهينات منها ما يتنافى مع مفهوم الفصاحة ، ومنها ما يخالف القواعد العامة في النحو والصرف ، ومنها ما لا تقره أصول علم القافية ·

١ ــ من ذلك قوله :ــ

والبصرة الفيحاء لاتتخلَّفَنْ عنها ولا تتجاوزنهَ مُقبِّلا

فادخال نون التوكيد على هذا البيت مرتين هو من دأب النظامين والمتشاعرين من العلماء والفقهاء والنحاة ، لا الشعراء المجيدين · أما حذف الألف في (تتجاوزنها) وبقاء الهاء مفتوحة فقط بدون مد فذلك اقتضاء اوجبته الضرورة الشعرية ·

٢ ــ وكنصبه الفعل المضارع في قافية هذا البيت مع أنه مجرد من عوامل النصب :ــ

لقد كنت لاأرضى الدنية فيهمُ ولا يزدهيني عنهمو من تحملا[1]

٣ ــ وكجزمه الفعل المضارع في آخر الشطر الاول من البيت الآتي مع انه مجرد من علامات الجزم :ــ

نام الغني وكان قبلك لا يَنَمْ خوفَ المظالم ساهراً يتقلب[2]

(١) ازدهاه : استماله وأغراه ، تمحل له : احتال ·

(٢) فى بعض نسخ ديوان الشاعر وردت كلمة (ينى) بمعنى (يفتر) ــ بدلا من كلمة (ينم) ــ وفى هذه الحالة فليس فى البيت عيب نحوى · الا أن استعمال كلمة (ينى) هنا لا يستقيم معه معنى البيت ، وانما يستقيم المعنى باستعمال مضارع (نام) لان المعنى المقصود من البيت هو : أن الغنى أصبح فى عهدك ــ أيها الممدوح ــ ينام قرير العين بعد أن كان قبلك لا ينام ليله من شدة فزعه وهلعه وخوفه على نفسه وماله ·

٤ ــ وكجمعه كلمة (غارب) على (غرب) ــ مع ان ذلك غير وارد في اللغة ــ في قوله :ــ

اليك من بلد « البحرين » قربني شدٌ بـه انحلت الاكوار والغُرُبُ

٥ ــ وكوقوع الضمير المتصل بعد (الا) الاستثنائية في قوله:ــ

وليس الاك ندعوه ونندبـــــه لما يقابلنا مـــــن دهرنا الحَطِمِ

وذلك غير جائز على المختار لدى النحاة وعلماء اللغـة . أمـا وروده في بيت أو بيتين من شعر المتقدمين فذلك شـذوذ لا يعتد به . وكان يمكن أن يغتفر لابن مقرب هفوة كهذه ولكن ورودها في مواضع متعددة من شعره يجعلنا نأخذها عليه .

٦ ــ وكادخاله (قد) على (ربما) في قوله :ــ

على أن حد السيف قـــد ربما نبا وفُلَّ ، وهـذا لايُفَـلُّ ولا ينبو

وذلك مما لا تقره القواعد العربيـة . وكان يمكن أيضـــا اغتفار مثل هذه الهنة لولا أن الشاعر قد أكثر منها في شعره .

٧ ــ وككلمة (متغطمط) ــ بمعنى مضطرب شديد الأمواج ــ في قولـــه :ــ

فبحرك للوراد ذو متغطمـــطٍ وربعك للوّفاد ذو سـعة رحبُ

فاللفظة غير شعرية ، ثم هي عسيرة النطق والمخرج ، ثقيلة على السمع واللسان ، يأباها الذوق السليم وينفر منها ولا يتقبلها ، فهي تتنافى مع مفهوم الفصاحة عند علماء البلاغة .

٨ ــ ومثلها كلمة (عضاريط) ــ والعضرط هو الأجير بملء بطنه او اللئيم ــ في قوله :ــ

ومدت عضاريط الرجال اكفها لتلمس عزاً بعـد ذلٍ واذعان

٩ ــ وكلمة (محبنطئاً) ــ ممتلئاً غضباً ــ في قوله :ــ

فلا تقعدنْ محبنطئاً خوف ميتـة ستأتي ، فمـا تلقى جواداً مجلداً !

وأشباه هذه المفردات الغريبة الثقيلة كثير في شعر أبن مقرب ، ولا نكاد نعثر عليها في شعر غيره ، وهي مما يضطر معه الباحث الى الرجوع لبطون المعاجم والقواميس ليستخلص منها المعنى ٠

١٠ ــ وكالتعقيد اللفظي ــ وان كان خفيفا ــ في قوله :ــ

مازال يجتاب البلاد مشمرا تشمير لاوانٍ ولا متحير

فوقوع (لا) في هذا الموقع ، أدخل العبارة في حكم التعقيد اللفظي ، وهو عند البلاغيين ضرب من ضعف التأليف للجمل ٠

١١ ــ وتعاب عليه بعض المبالغات في أقواله ٠ ومن ذلك ما ورد في خاتمة قصيدته الميمية الشهيرة والتي تكلمنا عن بعض محتوياتها عند الحديث عن افتخاره وتحمسه ، فبعد أن عدد أطرافا من مناقب قومه ومفاخر عشيرته قال مختتماً القصيدة :ــ

وماعددت عشيراً من مناقبنا ومن يعد ثرى « يبرين » مرتكما ؟!

ومن مبالغاته غير المستساغة قوله في أحد الامراء من بني عمه وهو مقيم بالأحساء :

حتى كأنك والمشبِّه صادق عمرٌ بها ، وكأنها لك يثرب !

وقوله يمدح أمير الموصل بدر الدين :

لولا النبوة بالنبي محمدٍ خُتمت لقلت أرى نبياً مرسلاً

على أن المبالغات التي وردت في شعر ابن مقرب يمكن حملها على القاعدة النقدية المعروفة عند العرب وهي : أجود الشعر اكذبه!!

١٢ ــ وكالاقواء في قصيدته التي يمدح بها الأمير أبا علي مسعوداً بن محمد بن أبي الحسين والتي مطلعها :

أنخ ، فهذي قباب العز والكرم وقِل فكل العلا في هذه الخيم[1]

فحرف الروي ــ كما ترى ــ جاء بالكسر ٠٠ ولكن الشاعر ما

---

(١) قل : من قال ، بمعنى نام فى القيلولة ٠

عتم ان تحول عن الكسر الى الضم وذلك في البيت الرابع والأبيات الثلاثة التي تليه ٠٠ فهو يقول :ـ

همُ الملوك وســـــــادات همو وما رَبـــى الملك الا في بيوتهمو

ثم عاد الى الروي المكسور واستمر عليــه حتى البيت الخامس والخمسين حيث جاء الروي فيه مضموما ، وبعده عاد مرة أخرى الى الروي فاستمر عليه حتى منتهى القصيدة ٠ ومهما يكن مــن شيء ، فان هذه المؤاخذات لا تؤثر شيئا في شعر ابن مقرب ، وقل أن يخلو شاعر من مآخذ تؤخذ على شعره ، ومن قبل أخذت مآخذ على امريء القيس والنابغــة الذبياني وأعشى قيس وغيرهم من فحول الشعر الجاهلي وصناديده ، كما أخذت مآخذ غير يسيرة على عدد من الشعراء المخضرمين والاسلاميين والمحدثين ٠

لماذا ظل ابن مقرب مجهولًا ؟!

درسنا ، فيما مضى ، حيـاة ابن مقـرب ونشـأته وشخصيته ، وتكلمنا على ديوانه واتينا على دراسة شعره وما يتسم به من ملامح ومكانة هذا الشعر والاغراض التي صرف فيها الشـاعر نظمه ، وحللنا بعض هذه الاغراض واستشهدنا بشيء من قوله على ذلك ما أمكن الاستشهاد ، واشـرنا الى بعض الهنات الهينات في بعض أبياتـه ٠

ولعل القارىء قد خرج من تلك الدراسة ، وان لم تكن وافية بكل ما يشبع نهمه ، بفكرة عن المستوى الشعري لهذا الشاعر ، وهو مستوى ـ على ما نعتقـد ـ لا بأس به ، وخليق بصاحبه ان تنتظمه قائمة الشعراء المجيدين ٠

ولربما سائل يسأل ـ بعد هذه الدراسة وبعد هذا الحكم ـ عن السر في جهل الناس بهذا الشاعر ما دام انه ، أي الشـاعر ، على هذا المستوى من الجودة والبراعة ؟٠٠

وذلك سـؤال حق ، يحسن الوقوف عنـده ومناقشته والاجابة عليـه ٠٠

حقا ، ان من مكملات البحث ، وقد درسنا حياة الشاعر وشعره وأحطنا بمكانته الشعرية وقيمته الادبية ، أن نسأل مع المتسائلين: لماذا ظل ابن مقرب مغمـورا خامل الصيت ؟٠٠ ولماذا بقي نسياً منسيا لا يلتفت اليه باحث ولا يعنى به دارس ؟٠٠

وللجواب على هذا السؤال نقول :

عاش ابن مقرب في بيئة بحرانية ، وكانت بيئة تسودها يومذاك عوامل الجهل والتخلف الأدبي والاجتماعي وعوامل الاضطراب ، ولهذا فهي بيئة لا ترعى للنابغين حقوقا ولا ترى أن عليها للأفذاذ والمفكرين من أبنائهـا واجبا ٠٠ وان الأمـة متى كانت جاهلـة متخلفة في مضامير الحياة فان قيم النابهين تضيع من بينها ٠

وكما أثر تخلف البيئة وسقوطها في عدم الاهتمام بشعر الشاعر وبمكانته الادبية ، كذلك كان لأبناء عمه دور هام في تناسي الناس

له واهماله واغفال شأنه وبالتالي خمول ذكره .

لقد ناصبه بنو عمه العداء ووقفوا في وجهه وكانوا له بالمرصاد وحقروا من شأنه أمام الآخرين وأشعروا هؤلاء بعدم الاستحسان له ، وقد كان لذلك أثره في تجاهل الناس له دون شك .

ومن جهة ثالثة ـ وهذا أهم الأسباب لخمول ذكره كما نعتقد ـ فان البحرين ، كما هو معلوم ، بعيدة عن حواضر الخلافة وعواصم السلطنات ومراكز الثقافة والمعرفة كبغداد ودمشق وحلب والقاهرة والمغرب والاندلس ، ولهذا لم يعن بتاريخ البحرين العام ، فضلا عن تاريخ الحركة الادبية بها ، أكثر المؤرخين لبعد الشقة وعدم العلم بما يجري فيها من أمور .

وهكذا ، بقي تاريخ الحركة الفكرية والعلمية والادبية مجهولا ، وظل ديوان ابن مقرب مركونا في زوايا الاهمال وغير معروف من لدن النقاد والباحثين والدارسين . ولو أن شاعرنا عاش حياته في مثل تلك الامصار التي اومأنا اليها ، لوجد البيئة العلمية التي تقدر له مكانته ، ولوجد لشعره رواجا وانتشارا كبيرين ، ولوجد من الادباء والكاتبين من يقدم نتاجه ويشيد بذكره وأثره أمام الناس .

أما رحلاته الى اليمامة والعراق وديار بكر ـ واكثرها خاطف ـ فلم تؤثر في ذيوع صيته وانتشار شعره ، بقدر ما أثرت في هذا الشعر نفسه فجعلته مهذبا مصقولا واسع الافق .

وسبب رابع نضيفه أيضا الى أسباب خمول ذكره ، وهو أن ابن مقرب قد عاش في زمن لم يعد الاهتمام فيه بالشعر والأدب كبيراً فعوامل الوهن والجمود والجهل قد بدأت تنخر في عظام العالم العربي والاسلامي ، والمجد الذهبي للثقافة والعلم والادب قد بدأ ـ قبل مدة ـ يلم اذياله ليغادر حواضر الخلافة ومراكز الثقافة نفسها .

لقد كان الوعي الفكري والثقافي عند العرب ، يومذاك ، في دور احتضار ، ولذا لم يلق بال لشاعر يقبع داخل الجزيرة العربية ولم يشر اليه بما هو أهله .

ولهذه الأسباب مجتمعة ظل شاعرنا مغموراً خامل الصيت ، وظل شعره ، مع الايام ، نسيا منسيا لا يحظى بنظرات الناقدين ولا فحوص الدارسين ، وان بقي على ألسنة بعض الخاصة في نجد وسواحل الخليج العربي مقروءاً ومتمثلا به في المجالس والمناسبات (١) .

ولست أعرف سبباً آخر لجهل الناس بابن مقرب وبشعره .

على أن شعره لا يمكن بحال من الأحوال ان يكون سبباً لهذا الجهل أو التجاهل ، لان القارىء لهذا الشعر يجد نفسه أمام شاعرية ناضجة ، لا يعتورها النقص الا لماما ، ولا ينتابها عيب الا في النادر .

على أن الوعي الذي يسود عالمنا العربي اليوم ، والاهتمام البالغ الكبير بالتراث القديم ، والعناية ببعث هذا التراث ونشره ودراسته ، كل ذلك كفيل ـ باذن الله ـ بالتعريف بشاعرنا ابن مقرب وبابراز شعره ابرازا وافياً سليماً .

---

(١) ذكر أمين الريحاني في (ملوك العرب) ـ الجزء ٢ الفصل ١٢ ـ شيئا عن مكانة الشعر في نجد وأن له مقاما عظيما بين عليـة القوم ، ومثل ببعض أبيات لابن مقرب كان الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ يعجب بها أيما اعجاب ، وقد كتبت فوق بعض الابواب باحدى قاعات قصره في الرياض .

مراجع الكتاب

الأعلام ـ للاستاذ خير الدين الزركلي
تاج العروس ـ للسيد مرتضى الزبيدي
تاريخ الأحساء ـ للشيخ محمد بن عبد القادر ، مع ملاحقه للاستاذ حمد الجاسر ·
تاريخ الأدب العربي ـ لبروكلمان
التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ـ لمحمد خليفة النبهاني ·
التكملة في وفيات النقلة (مخطوط) للحافظ المنذري
تلخيص مجمع الآداب ـ لابن الفوطي (مصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة) ·
دائرة المعارف ، باشراف الاستاذ فؤاد أفرام البستاني ·
ديوان ابن مقرب (مع شرحه) المطبوع بالهند سنة ١٣١١ هـ
ديوان ابن مقرب تحقيق الاستاذ محمد الحلو
ديوان ابن مقرب (طبع مكة سنة ١٣٠٧ هـ)
ديوان ابن مقرب (طبع دمشق بنفقة الشيخ علي آل ثاني)
ديوان ابن مقرب (مخطوطة المكتبة الماجدية بمكة)
ديوان ابن مقرب (مخطوطة مكتبة الاسكندرية)
ديوان ابن مقرب (مخطوطة مكتبة الحرم المكي)
ديوان ابن مقرب (مخطوطات ثلاث بدار الكتب المصرية)
رحلة ناصر خسرو
ساحل الذهب الاسود ـ للأستاذ محمد سعيد المسلم
صوت البحرين (مجلة)العدد الاولمن السنة الخامسة ـ البحرين

صوت الحجاز (جريدة) العدد الصادر في ١٣٥٥/٦/٢١ هـ مكة المكرمة .

العربي (مجلة) ابريل سنة ١٩٦٠ الكويت

القاموس المحيط ـ للفيروز آبادي

القياس والسماع ـ لأحمد تيمور باشا

المستدرك على ابن ماكولا ـ لابن نقطة (مخطوط)

ملوك العرب ـ لأمين الريحاني

معجم البلدان ـ لياقوت الحموي

المنهل (مجلة) جزء ٢ مجلد ١٩ سنة ١٣٧٨ هـ

الوافي بالوفيات ـ للصفدي (مصور)

اليمامة (جريدة) ١٣٨١/٩/٧ هـ الرياض

الفهارس

أ ـ فهرس الأعلام

(أ)

ابراهيم الخليل (عليه السلام): ١٣٣
ابن خلدون (عبد الرحمن) : ٤٨
ابن الدبيثى (عميد الدين بن العباس
أحمد بن جعفر بن أحمد بن محمد):
٢٦ ، ٦١ ، ١٢٦ ، ١٢٧
ابن الزبعرى (عبد الله) : ١٤١
ابن الشعار الموصلى : ١٥ ، ١٨ ، ٢١
٢٣ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٩٠
ابن الفوطى البغدادى : ١٦ ، ١٧ ،
٢٤ ، ٩٠ ، ١٦٨
ابن ماكولا : ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ،
٨٩
ابن المشد : ١٥٣
ابن نقطة : ١٤ ، ١٦٩
أبو بكر الصديق : ٣٩
أبو البهلول محمد بن يوسف بن
الزجاج : ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣
أبو تمام (الشاعر) : ٧
أبو حنيفة (الامام النعمان) : ٢٧
أبو سنان = محمد بن الفضل
أبو الطيب المتنبىء : ٧ ، ٥٩ ، ٧٣ ،
١٢٨ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،
١٤٩
أبو الفتح جلال الدين السلجوقى: ٤١
أبو فراس الحمدانى : ٧ ، ٧٣ ، ٩٥ ،
٩٧
أبو نواس : ١٤٤ ، ١٤٥
أجود بن زامل : ٥٠
أحمد بن أبى الحسين : ٢٠ ، ٤٦
أحمد بن على بن مشرف الأحسائى: ١٥٠
أحمد بن منصور القطيفى : ٣٩
أحمد تيمور باشا : ٤٩ ، ٨٩ ، ١٦٩
الأخطل : ١٢٦ ، ١٤٢
الاسكندر المقدونى : ٣٨
اكسك سالار بك حبوان : ٤١
أمين الريحانى : ١٦٧، ١٦٩
أمين حسن أبو القاسم : ٣٢
أوس (بن حارثة الطائى) ١٣٣
اهلورد : ٢٣

(ب)

باتكين بن عبدالله الرومى: ٢٧ ، ٦١ ،
١٠١ ، ١٠٢ ، ١٣٢
بدر الدين لؤلؤ الأتابكى : ١٤ ، ٥٩ ،
١٢٨ ، ١٦١
بروكلمان : ٢٣ ، ١٦٨
بشار بن برد : ١٤٣

(ت)

تاج الدين ابراهيم بن محمد : ١٤٦

تاج الدين اسماعيل بن النقيب جعفر العلوى الحسنى : ٦٠

(ث)

الثعلبى (الشاعر) ١٠٨، ١٠٩

(ج)

الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): ١٢٥
جعفر بن الفضل بن عبد الله العيونى (أبو شبيب) : ١٠٦

(ح)

الحافظ المنذرى : ١٦ ، ٢١ ، ٨٦ ، ١٦٨
الحسن بن عبد الله بن أحمد : ١٢١
الحسن بن غريو بن ضبار : ٤٥
الحسين بن على (رضى الله عنهما): ٢٧ ، ٢٨
حماد النائلى : ١١٢
حمد بن خليفة العيونى : ٣٠
حمد الجاسر : ٣١ ، ١٦٨

(خ)

خالد بن الوليد : ٢٩
الخصيب (أمير مصر) :١٤٤
خليل الشبكشى : ٣٣
خير الدين الزركلى: ٢٣ ، ٣٣ ، ١٦٨

(د)

داود الحلبى (الدكتور) : ١٨ ، ٣٢
درم الشيبانى : ١١٣
درويش المقدادى : ٢٣
دهمش بن سند : ١١٣
دى كوجيه : ٤٠

(ز)

زبيدة (زوج الرشيد) : ٨٥
زكريا بن العياش : ٤٢ ، ٤٣
زهير بن أبى سلمى : ١٣٧ ، ١٣٩

(س)

السبيع بن غفيلة بن شبانة : ١١٢
سعيد بن مالك : ٣٨
سعيد بن مغامس : ٤٩
سيف الدولة الحمدانى : ٩٧ ، ١٤٦

(ش)

الشافعى (الامام محمد بن ادريس) : ٢٧ ، ١٤٥
شبانة بن غفيلة : ١١٣
شبيب بن يزيد الشيبانى : ١٤٨
شكر بن على بن عبد الله بن على : ٤٤ ، ١٠٠ ، ١١٠ ، ١١٢
الشنفرى : ١٣٩

(ص)

صادق ماجد الكردى : ٣٢
صالح العتيقى : ٣٢
الصفدى (صلاح الدين): ١٧ ، ٢٤، ١٦٩
الصلتان العبدى : ٣٩

(ض)

ضبار بن عبد الله بن على العيونى : ٤٣ ، ٤٥

(ط)

طرفة بن العبد: ٦ ، ٣٨ ، ٧٣ ، ١٤٠

(ع)

عائشة الباعونية : ٤٩
عبد الرحمن بن حسان : ١٤١
عبد الله بن الحسين العكبرى : ٦٢ ، ٦٧

عبد الله بن الزبير : ١٣٣
عبد الله بن سعيد باخطمة : ٣٠
عبد الله بن على العيونى : ٢١ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ١١١ ، ١٢٠
عبدالعزيز آل سعود (الملك): ٥٠ ، ١٦٧
عبد العزيز بن أحمد العويصى : ٣٠
عبدل = عبد الله بن على العيونى
عبد الملك بن مروان : ٣٩
عدى بن الرقاع : ١٣٧
العكروت : ٤٣
العلاء بن الحضرمى : ٣٩
على آل ثانى (الشيخ) : ٣١ ، ١٦٨
على بن أبى طالب : ١١٣
على بن عبد الله بن على العيونى (أبو المنصور) : ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٥ ، ٩٩ ، ١٠٩ ، ١١٠
على بن ماجد بن محمد بن أبى الحسين: ٤٧ ، ٥٧
على بن يوسف بن ضبار : ١١١
عمرو بن عامر بن حارثة الغطريف الازدى: ٨٣
عمر بن الخطاب : ١٦١
عنترة بن شداد : ١٣٧
عيسى بن فاتك الخطى : ٣٩

(غ)

غرير بن شكر بن على : ٤٧
غرير بن محمد بن الفضل بن عبدالله (أبو فراس) : ١٠٨
غفيلة بن شبانة : ١١٢

(ف)

الفرزدق (الشاعر) : ١٢٦
فضل بن عبد الله : ٢٠ ، ٢١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٦ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٥٥
الفضل بن محمد بن أبى الحسين : ٤٧ ، ٥٦ ، ٩٩ ، ١١٩
الفضل بن محمد بن مسعود : ٤٨
فؤاد أفرام البستانى : ٤٠ ، ١٦٨
الفيروز آبادى : ١٦٩
فيض الله : ٣٣

(ق)

قس بن ساعدة : ١٩
قطرى بن الفجاءة : ٣٩
قيس بن عاصم : ١٩
قيس بن الملوح : ٧٣

(ك)

كافور الاخشيدى : ٥٩
كسرى : ١٣٣
كعب (بن مامة) : ١٣٣

(م)

ماجد الكردى : ٣٢
مالك بن أنس (الامام) : ٢٧
المبارك بن غرير : ٤٥
المتلمس (الشاعر) : ٦ ، ٣٨
محب الدين الواسطى : ٦٠

محسن الامين : ٢٩
المحسن بن هبة الله الدوامى : ٥٩
محمد بن ابراهيم المستورى : ١١١، ١٢٢
محمد بن أبى نمى : ٤٩
محمد بن عبد الله بن عثيمين : ١٥٠
محمد بن الفضل بن عبد الله بن على: ٤٣ ، ٤٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢
محمد بن ماجد بن محمد بن أبى الحسين : ٤٧ ، ٥٦ ، ٥٧
محمد بن مسعود العيونى: ٤٧ ، ٤٨، ٥٧
محمد بن منصور بن على بن عبد الله (أبو ماجد) : ١٠٠ ، ١١٢ ، ١١٣
محمد الحلو : ٣١ ، ١٦٨
محمد خليفة النبهانى : ١٦٨
محمود سامى البارودى : ٣٣
مذكور بن عبد الله بن منصور بن مقرب : ١٢١
مرتضى الزبيدى : ١٦٨
المرقش : ٦ ، ٣٨
مسعود بن أبى زينب العبدى : ٣٩
مسعود بن محمد العيونى (أبو القاسم) : ٩٩ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٦١
مصاد بن يزيد الشيبانى : ١٤٨
معاذ الازرق : ٣٩
معن بن زائدة : ٥٦
مقدم بن غرير بن الحسن بن شكر بن على : ٤٧ ، ٥٧
مقدم بن ماجد : ٩٨
مقرب بن الحسين بن غرير : ٤٥
ملا محمود بن الشيخ آدم الكوكينى : ٣٠
موسى بن محمد (الملك الأشرف) : ٥٧ ، ٥٨
موفق الدين الاربلى : ٣٩

(ن)

ناصر بن حمد بن لاحق : ٣٢
ناصر خسرو : ٤٠ ، ١٦٨
الناصر لدين الله (الخليفة) : ١٧ ، ٤٦ ، ٦٠ ، ١٠١ ، ١١٣ ، ١٣١
نمرود (بن كنعان) بن كوش : ١٣٣

(هـ)

هارون الرشيد : ٨٥

(ى)

ياقوت الحموى : ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ٥٩ ، ١٦٩

ب ـ فهرس الأماكن والمعالم

(ا)

اجلة : ٢٢
الأحساء : ٦ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢١ ، ٣١، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ١١٠ ، ١١٣، ١١٤، ١٢٠ ، ١٢٩ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦١
أدم : ٤١ ، ١٥٥ ، ١٥٦
اربل : ٧٨

ارم : ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٦
اسبانيا : ٣٣
اسطمبول : ١٧ ، ٣٣ ، ٩٧
الاسكندرية : ٣١ ، ٣٣ ، ١٦٨
آشور : ٣٨
أشمى : ١٥٥
الأندلس : ٩١ : ١٦٦
أوال : ٣٨ : ٤٠ : ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ١٠٨ ، ١٥٤
أوربا : ٦٢

(ب)

بابل : ٣٨ : ١٣٢
البحر الأبيض المتوسط : ٣٨
البحرين : ٧ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٦٨
برلين : ١٧ ، ٢٢ ، ٣٣
البصرة : ٢٣ ، ٣٧ ، ٦٠ ، ٧٨ ، ١٠١ ، ١٣٢ ، ١٥٩
بغداد : ١٥ ، ٢٣ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٩١ ، ١٠٢ ، ١٣٠ ، ١٥٥ ، ١٦٦
بمبى : ٣١

(ت)

تركيا : ٣٣

(ث)

تاج : ٤٣ ، ١٠٧ ، ١٥٤ ، ١٥٥
ثبير : ١٥٥ ، ١٥٦
الثليم : ٢١ ، ١٢٩ ، ١٥٤
ثهلان : ١٥٦

(ج)

الجبل : ١٥٤
الجديد : ٢١
الجرعاء : ٢٢ ، ١٢٩ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ،
الجزيرة العربية : ٦ ، ٧ ، ٦٨ ، ٩١ ، ١٠٣ ، ١١٤ ، ١٣٣ ، ١٥٣ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ١٦٨
الجش : ١٥٤
الجوهرية : ١٥٥

(ح)

حجر : ٢٢
الحجر الاسود : ٤٠
الحدباء = الموصل
الحصنين : ٢١
الحصيب : ١٥٥ ، ١٥٦
حضرموت : ١٠٤
حلب : ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٦
حلوان : ١٥٤ ، ١٥٥

(خ)

الخائس : ١١٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥
الخط : ٤٢ ، ٤٦ ، ١٥٤ ، ١٥٥
الخليج العربى : ٣٧ ، ٣٨ ، ١٣٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٧
خورستان : ١٥٥

(د)

دارين : ٣٩
الدجاني : ٤٦
دجلة : ١٢٨
الدراج : ١٣٩
درب دينار : ١٣٠
الدكادك : ١٣٨ ، ١٥٥ ، ١٥٦
دمشق : ٣٣ ، ٩١ ، ١٦٦ ، ١٦٨
دمياط : ٥٨
الدهناء : ٤٦ ، ١٥٥
ديار بكر : ٢٣ ، ٦٨ ، ١٦٦
ديرت ساد : ٣٠

(ذ)

ذات العماد = ارم

(ر)

الربع الخالى : ١١٤ ، ١٣٠
رضوى : ١٥٥ ، ١٥٦
الرعيناء : ١٥٥
الرمل : ٤٣ ، ١٠٦ ، ١٥٤ ، ١٥٥
الرياض : ٩ ، ١٦٧، ١٦٩

(ز)

زاد برد : ٤٤
الزوراء = بغداد

(س)

سبأ : ١٥٥
ستورة : ١٥٤
السليمات : ١٠٩
السودة : ٤٤
سيهات : ٤٠

(ش)

الشام : ٤١ ، ٤٦ ، ٥٧
الشحر : ١٠٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦

(ص)

صفواء : ١٥٤
صنعاء : ٧٤ ، ١٥٥

(ط)

طيوى (طيبى) : ٢٣

(ظ)

الظهران : ١١١ ، ١٥٤ ، ١٥٥

(ع)

العراق : ٢٧ ، ٤١ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ١٠١ ، ١٠٦، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١٢٩ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٦
عمان : ٢٣ ، ٣٧ ، ٤١
العيون : ١٤ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ٥٩ ، ١٥٤ ، ١٥٥

(غ)

غمدان : ١٥٥ ، ١٥٦

(ف)

الفيحاء = البصرة

(ق)

القاهرة : ١٥ ، ٩١ ، ١٦٦ ، ١٦٨
القسطنطينية = اسطمبول
قطر : ٣١ ، ١٠٦ ، ١٥٤ ، ١٥٥
القطيف : ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٥٦ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٥٤
القنا : ١٠٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦

(ك)
الكثيب : ١٥٤ ، ١٥٥
كربلاء : ٢٧
كرزكان : ١٥٤ ، ١٥٥
الكعيبة : ٤٠
الكوفة :١١٣
الكويت : ١٦٩
(ل)
لبنان :٣٨
لعلع : ٢٧
لندن : ٣٣
اللوى : ١٣٨ ، ١٥٥ ، ١٥٦
(م)
مأرب : ٨٣
المتثلم : ١٣٩
المجمعة : ٣٢
مدريد : ٣٣
المرزوان : ١٥٤ ، ١٥٥
المزار : ١٢١ ، ١٥٤
مصر : ٣١ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ١٠٤ ، ١٤٧، ١٥٥ ، ١٥٦
المصلى : ٢١
المغرب : ١٦٦
مكة المكرمة : ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٨٥ ، ١١٣ ، ١٦٨
ملهم : ١٥٥ ، ١٥٦
الموصل : ١٨ ، ٣٢ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٧٥ ، ١٢٨ ، ١٥٥ ، ١٦١
(ن)
نار برد : ١٥٤
ناظرة : ٤٢
نجد : ٣٢ ، ٤٦ ، ١٥٥ ، ١٥٦،١٦٧
النجف : ٢٨
نزوى : ١٥٤
نعام : ١٥٥ ، ١٥٦
نعمان : ١٥٥ ، ١٥٦
النقب : ١٠٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦
(و)
واسط : ٢٣ ، ٦١ ، ٦٨ ، ١٢٦ ، ١٥٥
(هـ)
هجر : ٣٧ ، ٥٦ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ١٥٤، ١٥٥
الهند : ١٣ ، ١٧ ، ٢٣ ،٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ١٦٨
(ى)
يبرين : ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٥٤ ، ١٦١
يثرب : ١٦١
اليمامة : ٢٢ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٥ ، ٦٨، ١٠٤ ، ١٦٦
اليمن : ٨٣ ، ١٠٤
اليونان : ٣٨

جـ ـ فهرس الأمم والقبائل والأسر والفرق

(ا)
الأزد : ٨٣
الافرنج : ٥٧ ، ٥٨
آل ابراهيم (العيونى) : ١٩ ، ٢٠
آل جروان : ٤٩
آل حمبد : ٥٠
آل زامل العقيلى : ٤٩
آل عبدل (العيونى) : ١٩
آل العوام : ٤٠

آل فضل (العيونى) ٩٧ ، ٩٨ ، ١١٩
ال مغامس : ٥٠
الأمويون : ٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٨
الأوس : ١٥٣
(ب)
البرتغاليون : ٥٠
بنو الجراح : ١١٣
بنو حنيفة : ٣٩
بنو خالد : ٥٠
بنو ظفر : ١٥٣
بنو عامر : ٤٣ : ٤٩ ، ١١٢ ، ١١٣
بنو العباس : ٣٩ ، ٦٠
بنو عصفور : ٤٨ ، ٤٩
بنو عقيل : ٤٨ ، ١٩٣
بنو فضل = آل فضل
بنو مالك : ٤٦
(ت)
تبع ، التبابعة : ٨٣ ، ١٠٤
تغلب : ١١٩
تميم : ٣٨
(خ)
خفاجة : ١١٣
الخوارج : ١٠٢
(د)
ربيعة : ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٧٧ ، ١١٣ ، ١١٤
الروم : ٤٨ ، ٥٧ ، ٦٨
الرياشمة : ١١٠
(ز)
زبيد : ١١٣
الزنج : ٣٩ ، ٥٤
(س)
السعوديون : ٥٠
(ش)
الشراة : ١٠٢
(ط)
طيء : ١١٣ ، ١٥٤
(ع)
عائذ : ١١٣
عبد القيس : ١٩ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٧٧ ، ١١٠ ، ١١٤
العثمانيون : ٢٩ ، ٥٠
عدنان : ١١٤
العرب : ٤٩ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١٠٦ ، ١٦١ ، ١٦٦
العجم = الفرس
العيونيون : ١٩ ، ٢٠ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٩٥ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٤ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٤
(ف)
الفرس : ٣٨ ، ٦٨ ، ١٠٤
الفينقيون : ٣٨
(ق)
القرامطة : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٧٧ ، ١٠٣ ، ١٠٦
(م)
مضر : ٤٨
معد : ١٠٦ ، ١١٤
(ن)
نزار : ٩٩ ، ١٠٦ ، ١١٩
(و)
وائل : ٣٨ ، ١٢٩
(هـ)
هتيم : ١٥٣ ، ١٥٤
(ى)
يعرب : ٩٩

الفهرس العـام

الاهـداء	٣
مقدمـة	٥
من هو ابن مقرب ..؟ :	١١
اسمه ولقبه وكنيته	١٣
نسـبه وعشيرته	١٩
نشـأته	٢١
وفاتـه	٢٣
شـخصيته وخلقـه	٢٤
معتقـده	٢٦
ديوانـه	٢٩
موطن الشاعر أو البحرين في التاريخ :	٣٥
وطن الشـاعر	٣٧
فذلكة تاريخيـة	٣٧
ظهـور القرامطـة	٣٩
الدولـة العيونيـة	٤٣
خاتمـة	٤٩
رحلاته واتصالاته بالأعيان	٥١
حظه من المعرفة	٦٣
الحرمان وأثره في شعره	٧١
شـعره	٨٧
الأغراض الشعرية عند ابن مقرب :	٩٣
المديـح	٩٦
الفخـر والحماسـة	١٠٣
الشـكوى والأنين	١١٥
العتاب والنصـح	١١٧

الرثـاء	١٢١
الحكمـــة	١٢٣
الهجـاء	١٢٦
الشـــوق والحنين	١٢٨
الغـزل والنسـيب	١٣٠
الوصـف	١٣١
بين ابن مقرب والشعراء :	١٣٥
صلته بالشعراء الجاهليين	١٣٨
تأثره بالاسلاميين والأمويين	١٤٠
تأثره بشعراء العصر العباسي	١٤٢
مكانة شعر ابن مقرب التاريخية :	١٥١
أهميته التاريخية	١٥٣
ذكره لقبيلة هتيم وعاداتها	١٥٣
ذكـر الأمكنـة	١٥٤
هنات هينـات	١٥٧
لماذا ظل ابن مقرب مجهولا ؟!	١٦٣
مراجـع الكتـاب	١٦٩
فهرس الاعلام	١٧١
فهرس الامكنة	١٧٤
فهرس الامم والقبائل والأسر والفرق	١٧٧
الفهـرس العام	١٧٩

تصويب

لقد ندّ عن النظر ـ في أثنـاء تصحيح تجارب الكتاب ـ بعض التطبيعات ، وقد آثرنا استدراك أهمهـا هنـا ، تاركين للقاريء الكريم التطبيعات الهينـة ، والتي لا تخفى على فطنتـه ، ليقـوم بتصويبها بنفسه ٠

صفحة	سطر	خطـأ	صواب
١٤	١٠	حُـطُّوا	حُطُّوا
٢١	٦	الموافقة لسنة ١٧٧٦ م	الموافقة لسنة ١١٧٦ م
٣١	٢	يعتبران مصدراً من مصادر	يعتبران مصدراً من مصادر الدراسة لحياة ابن مقرب وشعره ٠
٣٢	٤	والدة	والده
٤٢	٥	بن العياش	ابن العياش
٤٣	٢	٠٠ عقداً لنا نظا	عقداً لنا نظما
٤٤	٢	الفول	القول
٥٦	٢٧	فضل بن محمد العيوني	فضلا بن محمد العيوني
٦٥	٢	من بيئة لأخرى	بيئة لأخرى
٦٩	٧	فان بن مقرب	فابن مقرب
٧٥	١١	لا بالرحال	لا بالرجال
٧٥	٢١	ولا قب	ولا قرب
٧٨	٢١	الألحاح	الإلحاح
٨١	١٧	طرفه	طرفة
٨٣	٧	خلق البطان	حلق البطان
٨٣	١٠	الدنيّ	الدنيّ

٨٩	٢	كما تتمثل فيها	كما تتمثل فيه
٩٠	١٩	تجي	تجيء
١١١	١٤	محمد بن أبي الحسين بن أحمد	محمد بن أبي الحسين أحمد
١١٢	٦	جماعتة	جماعته
١١٢	٢١	أبي ماجد بن منصور	أبي ماجد محمد بن منصور
١١٣	١٠	محمد بن أبي الحسين بن أحمد	محمد بن أبي الحسين أحمد
١١٣	١٧	بنو غفيل	بنو عقيل
١١٣	١٧	سند بن أجود بن سيد عربه	سند بن أجود سيد عربه
١١٧	١٥	والأجلاف	الأجلاف
١١٧	٢٦	تضاعن	تضاغن
١١٨	٢	اختلافها	اختلابها
١١٩	١	أحمد بن أبي الحسين	أحمد أبي الحسين
١٢١	٢٠	همه	همت
١٣٩	٨	فالمتلثم	فالمتثلم
١٥٣	٧	اسن مقرب	ابن مقرب
١٥٩	١٧	تحملا	رحلا
١٧١	١٥	ابن نقطة: ٦٩،١٤	ابن نقطة: ٧٦،١٥،١٤، ٨٧،٦٢،١٨

ملحوظة :

● سقط السطر الأول من صفحة ١٤٣ وهو: (١ يقول ابن مقرب :) ٠ كما ورد في بعض النسخ بصفحة ١٠٨ سطر ٢٤ عبارة : (فقال الثعالبي) ٠ والصواب : (فقال الشعلبي) ٦٨

للمؤلف

● من أعلام الشعر اليمامي: تراجم مقتضبة ، ودراسات تحليلية نقدية لشعراء اليمامة فى عصور الازدهار الادبى · (صدر فى عام ١٣٧٧ هـ) ·

● ابن مقرب — حياته وشعره : أول دراسة من نوعها لحياة هذا الشاعر العظيم الذى ظل مغمورا على مدى الايام ، وتحليل لشعره الذى يعتبر تاريخا حيا لأسرته وبلاده ·· (صدر فى عام ١٣٨٨ هـ)·

● لمحات من تاريخنا : بحوث تتناول بعض المعالم الهامة فى تاريخ الجزيرة العربية · (تحت الطبع) ·

● الأمل الظامىء : ديوان شعرى يضم اشتاتا من القصائد التى قالها فى مختلف المناسبات الاسلامية والعربية والوطنية والاجتماعية · وقد نشر معظمها فى الصحف المحلية فى حينه· (تحت الطبع) ·

● شئون ·· وآراء : فصول وأبحاث فى شئون الحياة وقضايا المجتمع والناس · نشر معظمها قبل سنوات ·· (تحت الطبع) ·

● هوامش أدبية : مقالات أدبية ، وأخرى نقدية ، وتحليلات عابرة ·· فى شتى شئون الأدب · سبق نشر اكثرها قبل سنوات · (تحت الطبع)·

مطبع الرياض